معالجة نفسية للعولمة

تأليف

دكتور/ فؤاد الدواش

عنوان الكتاب: معالجة نفسية للعولمة
اسم المؤلف: د. فؤاد الدواش
رقم الإيداع بدار الكتب : ١٩٢٦٢/ ٢٠٠٤

تمهيد



تمهيد:

تتسم حياتنا بالصيرورة والتغير، فالليل إلى نهار، والأخير إلى ليل، والحياة إلى موت، والموت إلى حياة، والوجود لعدم، والأخير إلى وجود، فحين يجيء الليل مثلا نجد كثيرا من الشعراء يصابون بنوع من الكآبة التي تتجلى في إبداع شعري، وربما يرى البعض الليل نوعا من الترف، ويراه آخرون راحة من عناء العمل، وربما يرى البعض النهار أملا، وربما يراه الآخرون بداية لعناء جديد، وواقع مرير يتسم بالأسى والرتابة، إن الليل والنهار ثابتين مستمرين حتى موت هذا العالم.

وكالليل والنهار تتقلب الرؤى الذهنية، وهذا التقلب في ذهنية النخبة يمثل عصفا ذهنيا، وإن جاز التصنيف للنخبة فإنها على مستوى العالم هي النخبة الموجودة في دول المركز، وهى نخبة النخب، وهناك نخبة توجد في كل مجتمع على حدي، وغالبا ما تكون نخبة النخب في دول المركز هي التي تقوم بصياغة الأيديولوجيا الخاصة بمجتمعات المركز للتحكم في العالم ككل، وتنشغل نخبة كل

مجتمع بمدى التأثير والتأثر بما يفد على مجتمعاتها ، وهذا الانشغال يسعى بالطبع لتكوين رؤية عما تأتى به ريح المنتصر ، وعلى اختلاف تخصص النخبة وبقدر عمومية الأيديولوجيا الوافدة تتعدد مستويات التحليل.

ويفرز تعدد مستويات التحليل للأيديولوجيا رؤى اقتصادية وسياسية واجتماعية وفلسفية وسيكولوجية، سواء كان ذلك في مجتمعات المركز المنتجة للأيديولوجيا أو المجتمعات التي تقف في سلم الحضارة الآن فى طور التلقي والتأثر والسعي للنهوض، وتتعدد مداخل الرؤى تجاه ما يفد من أيديولوجيا، وهذا ما حدث في زوايا رؤية العولمة باعتبارها الأيديولوجيا الكونية الجديدة، فقد استقبل الاشتراكيون العولمة باعتبارها إعادة وتلخيص للنظام الإمبريالى فى صورته الأولية، ورأى الرأسماليون العولمة باعتبارها نوعا من تحرير الأفكار والأسواق ولم تخلو نظرة الكثير منهم من نزوع إلى التشاؤم ، وهناك اتجاه يرى ضرورة الاستفادة من الأيديولوجيا الكونية الجديدة بشرط عدم الاختلاع من الجذور والحفاظ على الثوابت والمنطلقات

الثقافية، وأيا كانت زاوية الرؤية وتعدد مداخل التحليل فالملاحظ أنه ليس هناك معالجة سيكولوجية لأيديولوجيا العولمة باعتبارها الأيديولوجيا الكونية الآنية عالميا.

وعلى ذلك ينطلق الجهد البحثى الحالى من منطلق أن الكتابات السيكولوجية العربية لم تعطى اهتماما كبيرا لهذه الأيديولوجيا الوافدة ليس علينا فقط ، وإنما على دول العالم أجمع، ولم أجد حتى فى الكتابات الغربية سوى مقالة واحدة نشرها عالم النفس الأمريكي " ألبرت باندرو A.Bandura 2001"(١) في مجلة علم النفس الكندية ويشير فيها إلى تغير وجه علم النفس ببزوغ عصر العولمة، وفى هذا السياق أحب أن أشير إلى أن هذه المقالة تحتوى على حقائق جد هامة جدا ولكنني أرى عليها بعض المآخذ:

١] أنها تقر بعولمة بعض الأحاسيس إلا أنها لم تذكر إلا أمثلة من الثقافة الأمريكية.

٢] أن هذه المقالة تشير إلى إمكانية تعرض علم النفس لمخاطر فيما أسماه "باندورا" الاختزالية البيولوجية Biological Reductionism ، وربما يعود ذلك إلى بعض

المحاولات الأمريكية لاقتياد علم النفس لاكتشاف الأسس البيولوجية للسلوك ويعود السبب فى ذلك إلى ما تشهده الأوساط العلمية الأمريكية من تقدم هائل فى مجال البيولوجيا الجزينية ليس عاما على مستوى العالم ، فدول العالم الثالث ليس بها مثل هذا التقدم ، لذا فعلم النفس فى هذه الدول ربما معرض للاختزالية البيولوجية، باعتبار أن علم النفس والدراسات النفسية فى الدول النامية ، مثلا الدول العربية تابعا بشكل كبير للنظريات الغربية الوافدة.

[٣] أن هذه المقالة قد أشارت إلى إمكانية التحول في نموذج التنظير النفسي والبلاد العربية سوف تتأثر بهذا التغير ، إلا أن ذلك يوقع هيكل البحث النفسي في الدول العربية لكثير من الاغتراب عن الواقع الاجتماعي وربما يعود ذلك لأسباب منها:

١- أن علماء النفس في الدول العربية في الأغلب الأعم ليسوا منتجين لنظريات نفسية وبالتالي فهم لا

يضعون النموذج الأساسي الذي يتم بناء التنظير عليه.

٢- أن نموذج التنظير والنظريات في المجتمعات الغربية لا ينبع من إبداع عالم فقط بقدر ما يتأثر بالاتجاهات العلمية السائدة في مجتمعه، فمثلا هيكل التنظير " المدخل / المخرج Input / Output " قد تجلّى في التنظير النفسي وفى المبادىء السلوكية، والمداخل النسقية تحت تأثير نمو وازدهار الاتجاه السيبرنطيقى الذي غزى مجالات عديدة مثل الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وليس ذلك فقط فالتنظير والهياكل التى يبنى عليها ينبع من تخطيط اجتماعى ليصل البشر فى هذه المجتمعات إلى مستويات نفسية واجتماعية تلبى حاجات المجتمع ، فمثلا يشير "جيمس مولين ٢٠٠١" إلى أن المجتمعات التصنيعية الكبرى قد مرت بتخطيط لحقب معينة خلقت تقدمها فمثلا:

- مرحلة الستينات وأوائل السبعينات : "عصر سياسة العلم"

- أواخر السبعينيات والثمانينات: "عصر سياسات العلم والتقنية"

- التسعينات : "عصر سياسة العلم والتقنية والإبداع"

- السنوات الحالية: عصر المعرفة المتراكمة حول نطاق المسائل التي في حاجة للحصر وذلك من أجل تسخير قوى التغير التقني لخدمة النمو الاقتصادي والاجتماعي والقومي(٢)

ومن رؤية "جيمس مولين" السابقة نجد أن عقد السبعينات والتسعينات ، عقد اتسم فى المجتمعات المتقدمة بالعلم والإبداع، وقد انتشرت دراسات الإبداع والابتكار فى الدراسات السيكولوجية العربية والمصرية ، إلا أن التساؤل كيف نفكر أو نهتم بالإبداع والابتكار على المستوى البحثي نزولا للواقع الاجتماعي التطبيقي والعديد من المجتمعات العربية تعانى من الأمية الأبجدية، وهذا كما أشير مسبقا يؤدى إلى اغتراب العلم السيكولوجي، فضلا عن بعض

التيارات الدينية التى تحاول أن تثبت أن اختيار التفكير والتدبر أو الاحتكام للعلم السيكولوجى هو بعيد عن العلمية ويزرع بذور الشك في التدين والاستقامة ويتنافى في كثير من الأحيان مع التدين المهذب.

٤] يشير باندورا فى مقاله أن العولمة ستوسع أفق التحليل عبر الثقافى، وهذا الأمر صحيح إلى حد ما ، ولكنه يتطلب مستوى مرتفع من الوعي والاهتمام ، فمثلا ربما يضع باحث في علم النفس اختبارا على الانترنت ويدخل على موقع الاختبار ملايين الأشخاص من الدول المتقدمة ويأخذون على محمل الجد الاستجابة السليمة للاختبار ، ولكنّ في مجتمع به نسبة كبيرة من الأميين ربما لا يهتمون بالاختبار ، وإذا كان بلغة أخرى فلن يفهموه بل ربما لا يدخلون على الانترنت من الأساس ، وإذا دخلوا على الانترنت ربما يهتمون بالمواقع الجنسية أو مواقع الدردشة، وربما يعكس ذلك في التحليل عبر الثقافي لدى الباحث الذي وضع الاختبار أن عينة بحثه التي استجابت عبر

الانترنت كلها أو معظمها من الدول المتقدمة، ولكن إذا كان هناك من مثقفي الدول النامية من يهتم بالاختبار وموضوعه تبقى مشكلة حقيقية في إطار القرية الكونية الحالية متمثلة في كيف لباحث في دولة أجنبية (مثلا) أن يلم بالمعايير الثقافية لمجتمع نامي أو متخلف في إطار التغيير المتسارع والذي هو في الأخير خارج نطاق التحكم بكل المقاييس ، فمجتمع المعلومات وتفجره في القرية الكونية يخلق مساحات تغيير ثقافي غير محدد النطاق سواء في اطار الزمان والمكان.

٥] أن " باندورا " يشير في مقالته إلي أن من تجليات العولمة بروز نظرية "إدارة الذات Self management" فمثلا التفجر المعرفى العالمى يتطلب تنظيم الذات التعليمى(٣) Educational Self Regulation ، ويبرز ذلك بسبب الكم المعرفى المتفجر فى شتى المجالات إلا أن تنظيم الذاتى التعليمى أو القدرة على التعلم الذاتى تصطدم بصخرة الأمية فى الدول النامية وتصطدم بصخرة أخرى تتمثل فى المستوى الاجتماعي /

الاقتصادي المتدني، فكيف أقنع رب أسرة فقيرة بأن يشترى كتابا فى الوقت الذى ينفق فيه على أسرته بصعوبة بالغة حتى نهاية الشهر وربما يعمل فى عملين أو ثلاثة حتى يستطيع الإنفاق على أسرته.

٦] ويشير " باندورا " أنه فى ظل الأيديولوجيا الكونية الجديدة تبرز الحاجة لنمو تنظيم الذات الصحي(٤) Health Self Regulation ، وهو يعنى بشكل ما نمو نوع من الوعي الصحي من خلال تبنى عادات صحية معينة، والعجيب هنا أن " باندورا " يطالب بنمو تنظيم ذات صحي في الوقت الذي حققت فيه نظم الرعاية الصحية في الدول الكبرى مقارنة بنا مستوي متقدم جدا من الرقي.

فيكفي النظر في محتوى أحد دعايات التليفزيون المصري التي تنادى الرجل الريفي بأن يبتعد عن " الترعة " خوفا من إصابته بالبلهارسيا لكي نعرف مدي تدني الوعي الصحي، إن أدنى متطلبات الوعي الصحي السليم ليست متوفرة في المجتمعات النامية، ولنأخذ مثلا آخر للحلاق

والحرفي الذي أطلق لحيته ، وأطلق على نفسه أنه يعالج بالقرآن فيدخل إلى البيوت باسم الرقية وإخراج الجن من الأظافر بعد دخوله من مسام الجلد.

ومن قبيل الأمانة العلمية إعلام القارئ بالاستفادة من مقالة "باندورا" عن تغير وجه علم النفس ببزوغ عصر العولمة ويجدر الإشارة إلى أنها تمثل بالنسبة لتجليات العولمة المخطوطة العمدة بالنسبة لهذا الجزء من البحث سواء كان ذلك اتفاقا أو اختلافا معها، وباعتبار العولمة أيديولوجيا كونية للآن الحالي فإنني قد آثرت أن أبدأ الفصل الأول من هذا البحث بعنوان " حول العولمة" ، أما القسم الأول من هذا الفصل فقد عنون بـ " العولمة والأيديولوجيا وقد تضمن هذا القسم ماهية الأيديولوجيا وصناعة الأيديولوجيا ، والأيديولوجيا كصناعة صانعة ، والقسم الثاني يدور حول ماهية ومرتكزات ومصاحبات العولمة ، ويشمل هذا الجزء مقدمة وماهية ومرتكزات ومصاحبات العولمة ، ثم يتناول هذا القسم محاور معينة مثل الاتصالات / المعلوماتية – المعرفة ، الحدود التقليدية – صراع

القومي/ العالمي، وأما الفصل الثاني فقد عنون بـ " العولمة والتكيف النفسي الاجتماعي ويشمل مقدمة ويتحدث عن تنظيم الذات التعليمي ، وتنظيم الذات الصحي ، وتنظيم الذات الوظيفي ، التواصل من منطلق الاحساس المعرفي الانساني ، ومحاولة التكيف مع تعدد الأدوار ، والتخطيط للحياة والتغير السياسي والاجتماعي ، أما الفصل الثالث فهو معنون بـ "تحولات في نسق علم النفس " ، ويتناول الفصل التحولات في نموذج التنظير النفسي والاقتياد البيولوجي والتطوري لعلم النفس والدراسات عبر الثقافية في عصر العولمة وأخيرا رؤى الصحة والمرض.

والبحث الحالي يتقاطع موضوعه مع فروع عدة من علم النفس ، فهو يدخل ضمن بحوث المستقبليات باعتباره يحاول استشراف مستقبل علم النفس في ظل الأيديولوجية الكونية الجديدة، ويدخل في المجال المنهجي في علم النفس باعتباره يتحدث عن التحولات في رؤى هذا الفرع ، ويدخل في علم النفس المرضى والمهني وعلم نفس الصحة باعتباره يتحدث عن ضرورة تنظيم الذات التعليمى

والصحى والوظيفى ، ويشترك مع علم النفس البيئى باعتبار أنه يحاول تحليل تجليات نوع جديد من البيئة الرمزية المنبثقة من الفضاء السيبرنطيقى ، ويدخل ضمن اهتمامات علم النفس السياسي باعتباره يتناول موضوع التغير السياسي والديموقراطية الالكترونية والإرهاب السيبرنطيقي، ويشترك موضوع البحث الحالي مع بعض مدارس الفلسفة التي كانت تنادى بلغة عالمية أو ديانة عالمية باعتبار الحديث عن التنامي الأولي للإحساس المعرفي الإنساني، وربما يظن البعض أن الحديث في علم النفس والعولمة في إطار بحث أو مؤلف ربما ينتهي أهميته بظهور أيديولوجية جديدة تتغلب على الأيديولوجية الكونية الحالية إلا أن ذلك ليس صحيحا على إطلاقه، فالبحث الحالي بعناصره العامة يقصد استكشاف حالة العلم السيكولوجي في إطار العولمة وفى إطار أي أيديولوجيا جديدة وهما الفائدتان التي يسعى المُؤلفَ الحالي لبحثيهما.

وأخيرا فإن الكمال غاية لا تنال، وإن كان في البحث تقصير فالعزاء أن الكمال لله وحده وأن هذا البحث في الأخير يمثل محاولة منهجية.

وما التوفيق إلا بالله،

المؤلف،

الهوامش

1. Bandura, A. (2001). The changing face of psychology at the dawning of a globalization era.Canadian Psychology, 42, 12-24.

٢. جيمس مولين(٢٠٠١) : أساليب متغيرة في تمويل البحوث "١٩٦٠-٢٠٠٠" ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد:١٦٨ ، ص:١٠٦ ، اليونسكو.

3. Bandura, A. (2001),Ibid,6.

4. Bandura, A. (2001),Ibid,6-7.

الفصل الأول

حول العولمة





الفصل الأول

حــول العولمة

أولا: القسم الأول: العولمة والأيديولوجيا

١- ماهية الأيديولوجيا:

يتنازع لفظ الإنسان العلوم الاجتماعية والإنسانية وبعض الطبيعية، فالإنسان البدائي متوحش التصرفات تنتزعه الانثروبولوجيا، والإنسان في تركيبه الطبيعي تتنازعه علوم البيولوجيا والأعصاب والفسيولوجيا، والإنسان في اجتماعه مع غيره تتنازعه علوم الاجتماع، والإنسان باعتبار سلوكه وشخصيته وقدراته ومهاراته تتنازعه علوم النفس، ويؤدى ذلك إلي اختلاف زاوية رؤية كل علم واختلاف أدواته ووسائله، وإن استخدام لفظ الإنسان في الفصل الحالي ينطلق من زاوية الرؤية السيكولوجية التي تنطلق من تصوير القدرات والشخصية والمعارف والانفعالات والسلوكيات، والإنسان من الوجهة السيكولوجية منتج ومشغل ومبدع للأفكار، ومن ضمن ما يبدعه الإنسان مجموعة من الأفكار تنتظم فيما يعرف بالأيديولوجيا، وهى كما يشير عبدالمنعم الحفنى " رؤية

متكاملة ومنهج وفلسفة، ويصفها البعض بأنها عقائد وهى تختلف تبعا للتوجه"(١)

ويعود بداية استخدام لفظ الأيديولوجيا إلى الفرنسي "دستوت دي تراسى" فقد أراد " دى تراسى" أن يدعو لثورة كاملة تغير جميع الأوضاع الفرنسية ومن ثم اخترع لفظة " أيديولوجيا" والتي تعنى علم الأفكار، وقد تأثر " دي تراسى " بأفكار " لوك "، ومن ثم اتخذت الأيديولوجية لدى " تراسى" عدة معالم:

[١] لا وجود لأفكار فطرية باعتبار أفكارنا آتية من الحواس.

[٢] أنها تمثل علم عميق، فهي ليست مجرد علم وإنما تتجه لما وراء العلم Meta-Science أو علم العلم، أو باعتبارها شارحة للعلم.

[٣] العمومية التي تجعلها تدخل في ميادين متعددة وتنزع عنها قناعها ارتدادا لأصولها.

[٤] محاولة التغلب على مبدأ استحالة المعرفة الحقيقية من خلال وصف النشاط الذهني الذي يحول المادي المرئي إلى المثالي الذهني.

[٥] إزالة التعارض بين الثنائيات القديمة مثل الأشياء والمفاهيم ـ المادة والروح.

[٦] السعي للموضوعية والدقة من خلال الرغبة في تأسيس قواعد ولغة تتخذ من الرياضيات نموذجا.

[٧] سياسات تحليل المعرفة الصادرة من مصدر السلطة وإنكار أن يكون لها صحة مطلقة، وهذا يعنى أنه ستحل أفكار جديدة دائما من خلال تعرية الأفكار السائدة، وهذا يدل على النزوع النقدي للأيدولوجيا، ويوضح أنها قد تكون في أحيان كثيرة ليست متحررة من الغرض والمصلحة. (٢)

ويتفق " ياكوب باريون" مع " دي تراسى" أن الأيديولوجيا هي "علم الأفكار" طبقا للمدرسة الفرنسية، وتشير الأيديولوجيا من حيث الوظيفة إلى القدرة على إرجاع الأفكار المركبة إلى بسيطة، وإرجاع الأفكار

البسيطة على الإحساسات أو المدركات الحسية المباشرة، والأيديولوجيا كعلم تسعى إلى تبيان جذور المعرفة ومنشئها وحدودها وحظها من اليقين(٣) ويتضح من رؤية " باريون" التأكيد على أن الأيديولوجيا إلى جانب أنها تحمل رؤية ما للواقع والحياة فهي تمثل منهج أو طريقة ذهنية لتصور الوقائع يبدأ من المركب نزولا للبسيط نزولا إلى الإدراك الواقعي والنشاطات العملية

إلا أن معالم الأيديولوجيا عند " تراسى" بوصفها علما شارحا أو علم العلم قد ارتبط بالرغبة في نفي التسلط على العقل أو بشكل آخر تحرير من نير السلطة الكلية أو الحكومات الدكتاتورية، والأيديولوجيا كعلم العلم إذ تسعى إلى الموضوعية وتبنى نماذج ولغة رياضية يحقق لها ذلك فعلا نوعا من المصداقية في السعي إلى المعرفة، إلا أنه يجب الإشارة إلى أن الأيديولوجية فعلا ليست محررة من الغرض والمصلحة في كثير من الأحوال، فأي صيغة أيديولوجية غالبا ما تسعى إلى تحقيق مصالح أو أغراض منتجيها، وهذا يدل على أن أي نسق أيديولوجي قد يفقد

موضوعيته وصدقه حينما تكون أغراضه منزوعة الأخلاق ويسوقنا التقعيد الأخير إلي الإشارة إلى أنه إذا كانت الأيديولوجيا مشغولة باتجاه " ما وراء Meta" فإن من يتلقى الأيديولوجيا غالبا ما يهتم باتجاه مؤداه " ما وراء / الـ ما وراء " أي السعي لاكتشاف الأغراض التي تقف وراء أيديولوجيا معينة، وهذا يعنى في مستوى معين من التحليل أن الأيديولوجيا غالبا نستثير أيديولوجيا مقابلة لها.

٢- صناعة الأيديولوجيا:

كما أشير من قبل أن الإنسان من الوجهة السيكولوجية، منتج ومبدع ومشغل للأفكار، وطالما هو كذلك فهو منتج للأيديولوجيا، والأيديولوجيا لا تصدر من نخبة النخب أو النخبة لتظل نخبوية متعالية وإنما لتعميمها واستدخالها من أجل البشر، وهكذا يتضح أن الأيديولوجيا إنما تصنع لكي تكون صناعة صانعة، فهي من البشر وإلى البشر.

وإذا تأملنا لماذا تصنع أو تصاغ الأيديولوجيا لوجدنا أنفسنا نتوصل إلى عدة مبادىء وسياقات مختلفة تؤدى إلى

صناعة الأيديولوجيا فمثلا " ديفيد هوكس" برغم أنه يرى الأيديولوجيا كوعي زائف إلا أنه يقعد بشكل كبير لكيفية نشوء الأيديولوجيا ويظهر هذا التقعيد في إشارته إلى:

[١] أن الأيديولوجيا تنشأ من مجرى الحياة الاجتماعية.

[٢] يتم الترويج لأفكارها من منطلق استدامة شكل معين من أشكال السيطرة.

[٣] أنها تنشأ لتمجيد وتدشين وثن معين. (٤)

ومن خلال تتبع تاريخ نشأة الأيديولوجيا لنجد أن سياقات صناعتها ترتكز على معلمات العصر الذي تنشأ فيه الأيديولوجيا كـ "باردايم Paradigm " ناقد للتفكير السائد والمسلمات المعترف بها ويتضح ذلك من بعض الأمثلة الآتية:

١) انتقاد الطبيعة الثانية:

تولى " سافونا رولا" الحكم في مدينة فلورنسا بعد هروب حاكمها الشرعي أي بعد غزو شارل الثامن ملك فرنسا لإيطاليا ١٤٩٤ وقد ارتكز " سافونا" على فكرة تدمير

الطبيعة الثانية، وتتضح هذه الطبيعة الثانية في إحراقه لمساحيق التجميل أو طلاء الوجه باعتبارها طبيعة ثانية، وأدوات للخيلاء أي باعتبارها " وثن".

٢) أيديولوجيا الخداع:

ثم يأتي " ميكافيلى" ويرسخ في " الأمير " لفكرة خداع الشعب كأيديولوجيا للحكم، فقد قدم ميكافيلى أيديولوجيا للحكم تقوم- على أساس أن الهجوم السريع من قبل الحاكم علي ما يعتنقه شعبه كموروث من الأسلاف يؤدى إلى زوال سلطانه، وإنما يكفى أن يستمر سلطان الحاكم -مع خداع الشعب- حتى يستطيع أن يقوم بالتجديد وهنا سيجد الشعب بحكم استمرار سلطان حاكمه المبرر العقلي لما حدث من تجديد.

٣) الهجوم على المتعالي:

هنا يبرز " لوثر " ناقدا ذاته في طقوس الكنسية، فقد راقب لوثر نفسه فوجد أنه برغم قيامه بالاعتراف لا يستطيع أن يقنع نفسه بمغفرة الرب أو يقتنع بخلاص روحه، وكيف يكون الخلاص الروحي من سلطة البابا الذي يستطيع

أن يفرض صوما أو حجا أو يعطى صكا بغفران الذنوب ومن ثم ينشأ دعاة الخلاص وتزدهر تجارة التوبة ويثور لوثر ويعاقبه البابا ، وبمعاقبة البابا لـ " لوثر " أخذ يتأمل أكثر في نقد كل صور الزيف فرأى أن الأفخارستيا في القداس والتي تُحدث تحولا من جوهر إلى جوهر " أي تحول الخبز والنبيذ إلى جسد ودم المسيح " تعني إقامة تعادل وهمي بين الفكرة والمادة والتمثيل، أي أن وسيط التمثيل " خبز ونبيذ" بعد الصلوات والتراتيل يتحولان إلى تمثيل جسدي لله، وهذه الممارسة الكاثوليكية تتطابق مع تعريف العهد القديم للوثنية، وقد تجلى نقد الصنمية في صورة علمانية أيضا في "الأورجانون الجديد" لفرانسيس بيكون حيث قام بنقد كل الممارسات المتعالية من خلال نقده لأوهام النزوع الشخصي فيما يعرف بأوهام الكهف، ونقده للمواضعات الاجتماعية فيما يعرف بأوثان القبيلة، ويتجلى نقده للتمثيل اللغوي الخاطئ فيما يعرف بأوثان السوق، ثم أخيرا يتجلى نقده للمتعالي من أراء الفلاسفة والمفكرين فيما يعرف بأوهام المسرح.

٤) نقد القبلي:

إن نقد القبلي يتضح إبان نمو التيار التجريبي الانجليزى الذي نما على يد " هوبز" بعد عودة النظام الملكي فيما يعرف بعودة الملكية وبيانه أن الناس باختيارهم الملكية إنما يعبدون العرف والمؤسسات ويعد ذلك نوعا من الوثنية، ثم يأتي " هوبز" فيكسر الثنائية التقليدية بين المادي والمثالي أو الروحي بإشاراته إلى أن معرفتنا آتية من الخارج بفعل الإدراك الحسي وأن من قبيل الوثنية لأي مجتمع أن يتخذ أصناما من أفكاره بواسطة اعتبارها مطلقة وهذا يعنى أن الأفكار والمعرفة إنما تأتى من الأشياء الخارجية بفعل التجربة وليس مما يوضع قبليا في الذهن. (٥)

ويتضح من الأمثلة السابقة التي أوردها " هوكس " :

١- أن الأيديولوجيا بالفعل تنشأ من مجرى الحياة الاجتماعية، وأن من يصوغها هم النخبة أو العقل المفكر للمجتمع.
٢- ويتضح أيضا أن الأيديولوجيا إنما تنشأ لكي تكون مضادة لأيديولوجيا أخرى فمثلا: الأيديولوجيا التجريبية

إنما تحمل ثورة ما على المثالية والقسمة الافلاطونية القديمة بين المادي / المثالي.

٣- يتضح أن الأيديولوجيا الجديدة حينما تقوض بناء ايديولوجى قديم إنما تسعى لإلغاء شكل معين من أشكال السيطرة القديمة من أجل غرس واستدامة شكل جديد من أشكال السيطرة.

٤- أن الأيديولوجيا الجديدة إنما تحمل في طياتها رؤية للعالم وطريقة أو منهج في التفكير فمثلا في ظل الثنائية أو التراتب الأفلاطونى الذي يستخدم التأمل كسلم للصعود من المادي للمثالي وحينما تتغلب القوي المادية يأتي ديلكتيك الهبوط إلي المادي أو الشهوي.

٥- تمثل الأيديولوجيا صناعة ومطلب اجتماعى إما من العقل الجمعي لمجتمع ما أو من أحد طبقات المجتمع أو مفكريه وينبثق النسق الفكري للأيديولوجيا عند اختماره ببصمة نخبوية في الأغلب الأعم.

٣) الأيديولوجيا صناعة صانعة:

الأيديولوجيا صناعة فهي في الأساس صناعة صانعة، وهى صانعة لأنها تصيغ عقول البشر ودوافعهم واحتياجاتهم، فلو تأملنا "مبكافيلى " في إطار أيديولوجية الخداع لوجدناه يراعى حاجة أساسية متمثلة في رغبة الناس في الإبقاء على القديم، ولو تأملنا أيديولوجيا " ما بعد الحداثة " لوجدناها تسعى للحث على النزوع الاستهلاكي من خلال التحكم في الدوافع ويورد " هوكس " مثالا لحالة فتاة، تسمى " إدنا " مصابة برائحة كريهة في الفم وقد مر عليها عمر الثلاثين ولم تتزوج بسبب رائحة الفم وأن أعز أصدقائها لن يخبروها بأن لها رائحة فم كريهة، لذا عليها أن تشترى "ليسترين" (٦)، ويبين لنا هذا المثال الذي أورده "هوكس " أن أيديولوجيا الوضع " ما بعد الحداثى" إنما تستغل الدافع أو الرغبة في الزواج، وتضغط على القلق من تأخر سن الزواج وربما تزرع التشكك في الذات إذ أن من المتوقع أن كل من سيشاهد الإعلان عن " ليسترين" ربما

يحاول أن يتثبت من أن رائحة فمه ليست كريهه، حتى إن لم يكن يعانى من رائحة فم كريهه.

وحرى أن نشير إلى أن موجات الحضارة المختلفة سواء الموجه الأولي (الزراعة) أو الثانية (الصناعة) أو الثالثة (المعلوماتية / المعرفية) قد حملت في طياتها أيديولوجيا معينة، وفى هذا السياق علينا أن نشير إلى أربعة مستويات من التحليل:

أولا: أن أي أيديولوجيا تبدأ كعملية Process في البداية أي تحول بفعل مدخلات فكرية / مادية في آن.

ثانيا: أن العملية تقتضى إحداث تغير اجتماعي " بكافة مستويات التحليل" ونفسية ويشمل ذلك بنية الدافعية والقيم والهوية والقدرات والمشاعر والانفعالات والسلوكيات.

ثالثا: أن انتهاءَ العملية قد يعنى الاستقرار الأيديولوجي، وفى هذا المستوى من التحليل تستشار أيديولوجيا مضادة وقد تستشير اتجاهات وسط أو كما يشير السيد ياسين " جدلية السقوط والصعود والوسطية"(٧)

رابعا: أن الأيديولوجيا في ذاتها تتضمن عملية، فإن الدعوة لأيديولوجيا معينة هو في ذاته عملية، وأن وصول الأيديولوجيا لدرجة معينة من الوضوح والاستقرار يشمل عملية تسعى لاستدامة سيطرة وضع معين وأفكار معينة تسعى الأيديولوجيا لتثبيتها.

والأيديولوجيا بتجلياتها على كافة مستويات التحليل تصيغ الإنسان باعتبارها صناعة صانعة، فالايديولوجيا هي منتج انسانى في الأصل ولصياغة الإنسان والثقافة والمجتمعات كمخرج نهائي لعملياتها.

وكما يشير " عبد السلام المسدي " " كان يسيرا أن يتحدث الناس عن نطاق عالمي جديد، ولم يكن يسيرا أن يتحاوروا حول نظام ثقافي جديد، فقد بدأ الاصطدام في صميم الرؤية الفكرية: الثقافية، والنظام الكوكبي الجديد، بل قل الإنسان والنظام الكوني المكتسح! ، الإنسان من حيث هو كائن ثقافي (٨).

وإذا كانت الثقافة هي " العادات والفن والتقاليد والسلوك" فإن العادات والقيم والسلوكيات إن هي إلا مدخلات ومخرجات البشر، وعلى ذلك يتضح من رؤية المسدى"

للايديولوجيا الكونية الجديدة " العولمة " أنها تكتسح الإنسان وثقافته الاجتماعية وإن كان تحليله كما يقرر يحمل نوعا من الدعوة للايديولوجيا المضادة إلا أنها توضح إلى أي حد يؤمن المسدي " بأن الايديولوجيا هي صناعة صانعة في الأساس".

وفي نفس السياق يؤمن " إريك فروم" بأن الأيديولوجيا تصنع أحلام البشر وأوهامهم فهو يشير إلي أن العصر الصناعي الذي زاد فيه التوحش الرأسمالي قد وعد الإنسان وعودا كاذبة بالتقدم وفي النهاية خلف ذلك تركة من الهم والجشع والطمع وفقدان الإنسان لكينونته الحقيقية فهو يشير تحت عنوان " نهاية وهم" : " الوعد العظيم – وعد السيطرة علي الطبيعة – والوفرة المادية ، والسعادة القصوى للأغلبية العظمى ، والحرية الشخصية غير المحدودة ، هذا الوعد كان محط الآمال منذ بداية العصر الصناعي " ، ثم يشير "فروم" إلي إخفاق الوعد العظيم من خلال إثباته لهشاشة المقدمات التي بني عليها هذا الوعد العظيم حيث يشير " يرجع إخفاق الوعد العظيم للعصر الصناعي إلي المقدمتين النفسيتين الأساسيتين اللتين بني عليهما وهما: إن الهدف من الحياة هو السعادة – أي تحقيق أقصي متعة – أي إشباع أي رغبة تعن للفرد ، وإن الأنانية والسعي لتحقيق المصلحة الشخصية والجشع هي الصفات

التي يولدها النظام من أجل تسيير أموره وتفضي للانسجام والسلام."(٩)

وعلي التقعيد السابق يشير " أحمد أنور" : " ترتبط العولمة بمنطق التوسع الرأسمالي – وقد قام المجتمع الرأسمالي علي قواعد لا أخلاقية أهملت الدعوة للحرية والعدالة والمساواة وتم فيه توظيف الميكافيلية والبراجماتية، واستخدمت الرأسمالية الاستعمار والحروب والإرهاب النووي وتشجيع الطائفية والحروب الأهلية ، ويستشهد بمقولة "ماركس" مع القيمة المتزايدة لعالم الأشياء ينطلق في تناسب عكسي انخفاض قيمة البشر والإنسان" ، ويوضح كل ذلك كيف أن الأيديولوجيا عموما هي صناعة صانعة للدافعية والقيم والاتجاهات والهويات.(١٠)

القسم الثاني

ماهية ومرتكزات ومصاحبات العولمة

١] مقدمة :

لكل عصر نموذجه المعرفي الذي يحدد طرائق التفكير، واستراتيجيات الفعل أو السلوك، ومن خلال ممارسات الحياة الاجتماعية تتلخص الأفكار المحددة للانبثاق الايديولوجى ، وإن أي أيديولوجيا تحمل بعدًا زمنيا ولا زمنيا في آن ، فالايديولوجيا تأخذ فترة زمنية لكي تنبثق وتستقر، إلا أن الأيديولوجيا تحمل الطابع اللازمنى باعتباز الولاء لها من معتنقيها، والأيديولوجيا كما أشير من قبل لا تنشأ من فراغ أو في الفراغ، وإنما تنبثق الايديولوجيا مستندة إلى سرتكزات معينة تمثل مقومات وأسس تبنى عليها وتدعوا إلى استدامتها كأوضاع وحالات نفسية اجتماعية معينة ، فمثلا الايديولوجيا الاشتراكية دعوة إلى العام والكل والذوبان في المجموع، أما الايديولوجيا الرأسمالية دعوة إلى الخاص والجزئي والنزوع الوجودي للأفراد والكيانات تحت مظلة الليبرالية، وطبقا لذلك سيرتكز

الجهد البحثي في هذا الفصل على ماهية العولمة ومركزاتها باعتبارها أيديولوجيا الآن.

٢] ماهية العولمة:

إن التصدي لماهية العولمة ليس بالأمر الهين، وما يجعل الأمر ليس هينا أن هناك مفكرين لهم وزن نسبى مرتفع في سوق الثقافة وثقل أكاديمي قد تصدوا لتعريف العولمة، و في هذا الإطار أحاول أن أجمع أو أقوم بترتيب بعض الاتجاهات المختلفة التي تصدت لتبيان ماهية العولمة.

أ) العولمة كعملية :

في هذا الإطار يشير أستاذي " السيد يسين" أن العولمة كمفهوم في أدبيات العلوم الاجتماعية الجارية أداة تحليلية لوصف عملية التغير في مجالات مختلفة، فهي ليست مفهوم مجرد وإنما يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال، فهي عملية تاريخية تصف مجموعة من العمليات، تغطى معظم الكوكب مما يعنى أن للعولمة بعدا مكانيا باعتبار أن

الأنشطة السياسية والاجتماعية أصبحت تبسط رواقها على كل أنحاء المعمورة.(١١)

ويتضح من المنظور السابق للعولمة أنه يصف كيف أن العولمة عملية تغير العالم وتنقله من حقبة إلى حقبة جديدة، وإنها برغم أنها نتيجة لسقوط الشمولية إلا أن تجلياتها تتصف بالشمولية فهي تحمل تجليات في السياسة والاقتصاد والثقافة بما تشمل الإنسان وعاداته وتقاليده وأنماط حياته، وعلى ذلك يتضح كيف أن العولمة ستؤثر بشكل كبير على أنماط تفكير الناس ومعالجاتهم لشئون حياتهم اليومية.

ب) العولمة كامتزاج مناحي بحثية وتطبيقية متعددة: :

وفى هذا الصدد يبرز تبنى " إسماعيل صبري عبدالله" لتعريف مؤداه " التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء أو وطن محدد أو لدولة معينة، ودون حاجة إلى إجراءات حكومية. (١٢)

ويتضح من التعريف السابق كيف أن العولمة أو الكوكبة كما يسميها " إسماعيل صبري عبدالله" مزجت بشكل

كبير وواضح بين مناحي متعددة على مستوى الكوكب معتمدة على تجاهل الحدود السياسية والانتماءات التقليدية ودونما اعتبار للسيادة الخاصة بكل دولة، ويوضح هذا التعريف بشكل كبير كيف أن التداخل بين نواحي الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة في النهاية يصب في إطار الدولة أو الأمة إلا أن السلوك الآن مهما اختلفت مناحيه وتنويعاته أصبح يأخذ السمة الكونية، ومن الملاحظ على تبنى هذا التعريف أنه يتوافق مع التوجه الاشتراكي الذي ينظر للعولمة على أنها المادة لنظام الهيمنة أو السيطرة القديمة أو الاستعمار، ويتأكد ذلك من جزئية عدم الاعتداد بالحدود السياسية.

ت) العولمة كإلغاء للعزلة وإنماء التشظى الثقافي :

في هذا السياق نجد محاولة " فالح عبدالجبار " حيث يرى أن العولمة هي " عمليات موضوعية في طور محدد تكنو - الكتروني من تطور الحضارة الصناعية الرأسمالية وهى حافلة بالتناقضات والصراعات شأن أي عملية تاريخية،

وبالتالي هناك صعوبة في الوصول لمعنى جامع للعولمة باعتبار أننا إزاء موضوعية ناجمة عن الفعل البشرى.(١٣)

يتضح من محاولة " فالح عبد الجبار" أنه يحاول أن يبين بشكل جلي أن المحدد الأساسي للعولمة متمثل في نمو التقنيات الرقمية كمنجز متطور يحدد بشكل رئيسي صورة الاتصال للمعولم والذي أتاح الانبثاق الأيديولوجى الآني العولمة، ويؤكد " فالح عبدالجبار " أيضا كيف أن أيديولوجيا العولمة هي صناعة العقل والفعل البشرى ولأنها أتت كدعوة من القطب الأوحد في العالم وهى تخلق التناقض والصراعات، وكما يشير أيضا " أن العولمة وإن كانت تقوم بإزالة العزلة عن إطار الدولة القومية إلا أنها تؤدى في إطار الفضاء السيبرنطيقى إلى ظهور أو تشظى عرقيات صغيرة، أو ثقافات فرعية على المستوى الدولي وإن ظهور ثقافة فرعية على المستوى الدولي قد يمثل بشكل كبير وسيلة ضغط على الدولة التي تنتمي إليها مما يزيد من أعباءها وخاصة إذا كانت من دول العالم الثالث، وفى الأخير إنني أرى أن محاولة "إسماعيل صبري عبدالله، فالح

عبدالجبار" تتأثر كثيرا بالمنظور الاشتراكي الذي يحمل أيديولوجيا خاصة تجاه الاستعمار والثورة والتغير.

ث) العولمة كمؤامرة:

في هذا السياق تظهر محاولة " محمد عابد الجابري" حيث يرى أن العولمة تمثل أيديولوجيا ترسخ لثقافة التبعية " مقابل " للثقافة الوطنية"، وهى كأيديولوجيا تركز على ثلاثة ركائز هي:

١- شل الدولة الوطنية وبالتالي تفتيت العالم لتمكين شبكات الرأسمالية الجديدة والشركات العملاقة متعددة الجنسية من الهيمنة عليه والسيطرة على دواليبه.

٢- توظيف الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة في عملية الاختراق الثقافي واستعمار العقول وخاصة المثقفين (والتكنوقراط منهم بالخصوص)

٣- التعامل مع العالم ومع الإنسان في كل مكان تعاملا لا إنسانيا، تعاملا يحكمه " البقاء للأصلح" والأصلح في هذا المجال هو " الناجح" في كسب

الثروة والنفوذ وتحقيق الهيمنة، وإقصاء وتهميش وتسريح العمال. (١٤)

ومن خلال رؤية " الجابري" يتضح عدة ملاحظات:

- أنه يرى أن أيديولوجيا العولمة كمؤامرة تحاك على العالم.
- أن رؤيته تتناول العولمة بمنظور تشاؤمي ولا توضح أو تنظر لحلول أو إن جاز التعبير رؤى للنهضة في مقابل الأيديولوجيا الداروينية القادمة.
- بالنسبة لمسألة الاختراق الثقافي واستعمار العقول كتجلي لأيديولوجيا العولمة أرى أن استعمار العقول والاختراق الثقافي مسألة حادثة ليس من خلال أيديولوجيا العولمة الآن فقط فعلى سبيل المثال هناك دول عربية مثل دول المغرب العربي، تكاد تكون الفرنسية لدى كثير من العامة أسهل وأبسط من العربية، وعلى ذلك فالاختراق الثقافي ليس حادثا في بداية القرن الواحد والعشرين فقط، وإنما من الممكن أن أتفق مع رؤية " الجابري" في أن العولمة في تجلياتها الثقافية تسعى لتوحيد أو تنميط

السلوكيات والعادات والتقاليد لتخلق ثقافة استهلاكية تخدم الإنتاج المتزايد في الدول الصناعية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة، وعلى ذلك فنحن مخترقون ثقافيا بالفعل ويبقى التساؤل أين نتجه؟

وفى إطار نفس سياق رؤية العولمة كمؤامرة نجد محاولة " محمد ابراهيم مبروك" حيث يقول " فالعولمة كما افهمها هي تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاظم آليات فرضه سياسا واقتصاديا وإعلاميا وعسكريا بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي. (١٥)

ومن رؤية " محمد إبراهيم مبروك" يتضح أنها تقدم منحى جديدا في النظر للعولمة والمتمثل في أن العولمة كأيديولوجيا تقدم نمطا جديدا للحياة يقوم على أساس الإلهاء الحسي الذي تتم تغذيته من خلال الحث الاستهلاكي واستثارة دوافع الناس الشرائية إلا أن رؤيته كما يقرر أن العولمة ليست مجرد تحقيق مصالح الدول الفنية على حساب الدول الفقيرة حتى لو أدى ذلك لإفنائها ولكن تحقيق مصالح

النخب الرأسمالية في تلك الدول والنخب الحليفة لها في الدول الأخرى على حساب كل الشعوب، فالعالم يتم تقسيمه إلى مراكز وهوامش وكلما ازداد ثراء المركز ازداد فقر الهوامش، وهذه الهوامش هي الطبقات الفقيرة دون النخب حتى في الدول الغنية، ويقرر " محمد إبراهيم مبروك" أن الإسلام بمنظومته الرسالية لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي أمام ما تمارسه العولمة الأمريكية من سحق للشعوب وتحطيم للكينونة الروحية للإنسان وبعد سقوط الأيديولوجيا الغربية يظل الإسلام الأيديولوجية الوحيدة القادرة على استنهاض شعوب العالم الفقيرة والمستضعفة وإنقاذها من مظالم العولمة"(١٦)

ثم يستطرد " محمد إبراهيم مبروك" بأن بلوغ الإسلام تلك الأهداف يتطلب شروط محددة تتمثل في: وجود القادة القادرين على اتخاذ القرارات الشجاعة، والشعوب القادرة على الصمود والعطاء. (١٧)

ومن الملاحظ على رؤية " محمد إبراهيم مبروك" للعولمة كمؤامرة:

١] أنه يرى الإسلام كأيديولوجيا ولا أدرى كيف يرى " محمد ابراهيم مبروك" الإسلام الذي هو دين سماوي على أنه " أيديولوجيا" فلا يخفى أن الأيديولوجيا التي هي " علم الأفكار" في الأخير هي صناعة بشرية.

٢] أنه يخلط خلطا شائعا في الثقافة المصرية والعربية، ومؤدى هذا الخلط أنه يعبر عن الإسلام على أنه المسلمين فهو يقرر " بلوغ الإسلام تلك الأهداف" ويقرر في موضع آخر " الإسلام بمنظومته الرسالية لا يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي"، إن الإسلام كدين يختلف عن المسلمين باعتبار أن الربط بين الإسلام والمسلمين من حيث الفعل وضرورة التحرك ليس في صالح الإسلام، فالإسلام يقدم نموذج حياة حقق في حالات فهمه وتطبيقه تطبيقا صحيحا إمبراطورية إسلامية لها ثقلها في جميع مناحي الحياة، والإسلام كدين مازال موجودا

محفوظا ولكن الفهم الصحيح المتكامل هو الغائب المنشود.

٣] أن رؤية " محمد إبراهيم مبروك" للإسلام كونه أيديولوجيا تستطيع أن تقف في وجه أيديولوجيا العولمة هو في ذلك يتفق ويؤيد رؤية " صمويل هنتنجتون" التي ترى في الإسلام العدو القادم للغرب، " وإنني أري أن الإسلام كنظام للحياة مع فهم مقتضيات التقدم والتحديث قادر علي إخراج البلاد العربية والإسلامية من كبوتها".

٤] يظهر من رؤيته أنه لا يقدم طرائق أو استراتيجيات واقعية يتم بها مواجهة شيوع النمط الاستهلاكي الغربي، وحتى لم يقدم طرائق للإنماء الروحي في مواجهة الزحف الاستهلاكي المادي، فكل ما أشار إليه أنه يجب توفر "قادة قادرين على اتخاذ القرارات الشجاعة وشعوب قادرة على الصمود والعطاء"

ج) العولمة كوعي كوني متكامل:

في هذا السياق تبرز محاولة " أنطوني كينج" حيث يقرر نقلا " عن روبرتسون" أن العولمة هي " بلورة العالم بوصفه مكانا واحدا"، "نشوء الظرف الانسانى العالمي"، " والوعي بالكرة الأرضية بما هي كذلك" (١٨)

ويتضح من الاتجاه السابق في فهم العولمة:

١- أن رؤية العالم كمكان واحد يعنى عدم الاعتداد بالحدود التقليدية مما يعنى أن الحدود الجغرافية لم يعد لها نفس الثقل القديم، فقد قربت وسائل الاتصال الحديثة بين الأفراد في مختلف بقاع المعمورة وأصبح العالم قرية كونية صغيرة.

٢- وتوضح الرؤية الحالية للعولمة وتوضح الرؤية الحالية للعولمة كيف أن هناك ظرفا إنسانيا عاما ناشئا، وهذا الظرف الإنساني العام ربما ينشيء من إحساس إنساني عام بوحدة الجنس البشرى مما يؤهل إلى تنميط ثقافي واسع النطاق على مستوى الكوكب.

٣- والجديد في هذه الرؤية للعولمة أنها تركز على فعل عقلي معين ناتج عن العولمة هو فصل " الوعي"، والوعي هنا ليس وعيا مجتزئ وإنما يتسم بصيغة جشطلتية في رؤية الكوكب الأرضي.

وتتفق هذه الرؤية مع رؤية " زكى الميلاد" حيث يرى أن العولمة "هي محاولة لتشكيل رؤية جديدة ومختلفة نحو العالم والنظر له ككل واحد، وجعله إطارا ممكنا للتفكير، مع وجود تقنيات وآليات لها قدرة على التعامل مع حقائقه ومعطياته وعناصره" (١٩)

٣] بعض مرتكزات ومصاحبات العولة:

تمهيد:

ليس هناك ظاهرة من الظواهر الإنسانية إلا وتبنى على أسس ومقومات أو مرتكزات معينة والعولمة كأي ظاهرة إنسانية لها مرتكزات مهدت لظهورها وانتشارها وفيما يلي بعض لمرتكزات ومصاحبات العولمة:

أ ـ الاتصالات / المعلوماتية ـ المعرفة:

مرت الحضارة بموجات ثلاثة تبعا لرأى " توفلر" وهذه الموجات تتمثل في " الموجه الأولى" وقد تمثلت في الثورة الزراعية، ثم كانت حضارة "الموجة الثانية" والتي انبعثت بفعل الثورة الصناعية، ثم ظهرت " حضارة الموجه الثالثة" فانبعثت الثورة المعلوماتية والتي يطلق عليها حضارة ما بعد المجتمع الصناعي. (٢٠)

وإذا كنا الآن في ظل ثورة معلوماتية، فإن هذه الثورة قد حدثت بفعل ثورة في التكنولوجيا الالكترونية التي يسرت تدفق هائل من المعلومات عبر شبكة الانترنت، بل أن المعلومات في ذاتها أصبحت سلعة تباع، وهذه الثورة المعلوماتية المتدفقة عبر الشبكة الدولية لا تتأثر بالحدود الجغرافية التقليدية ولا تعترف بالسيادة التقليدية للدول والمجتمعات بل قد لا تراعى إلى حد كبير الخصوصية الثقافية لأي مجتمع، وهناك مشكلات عدة يثيرها التدفق المعلومات العالمي.

١) إشكالية الكم:

إن الكم المعلوماتي الذي يتدفق عبر الشبكات الالكترونية يضع أمام العقلية المصرية والعربية تساؤلات مؤداها: متى تستطيع أن ننتج كم معلومات له ميزة نسبية في صنع ثورة علمية ، ويثير هذا الكم أيضا أزمة العقول المبدعة المنتجة للمعرفة والمعلومات، فالدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة تخطط بشكل هائل لاجتذاب أفضل العقول على المستوى العالمي ومن ثم تحتفظ بميزة نسبية في عقولها المفكرة ومن ثم منتج معلوماتي معرفي متميز، ويثير الكم المعلوماتى المتدفق إشكالية كيفية تعلمه استيعابه، فالكم المعلوماتى المتدفق غير مسبوق بالمرة وبالتالى يبرز البحث عن الطريقة التى بها يتم الإطلاع على الأقل على هذا الكم المعلوماتى.

٢) إشكالية اللغة:

فالتفجر المعرفي بلغات مختلفة يفرض إشكالية إتقان لغات مختلفة، وإذا أخذنا مثالا عن متخصص في علم النفس أو الإرشاد والعلاج النفسي ويريد أن يتابع الجديد في

تخصصه، وخاصة إذا كان هذا التخصص ينتمي للعالم الثالث فإنه لن يجد غالبا بلغته الأصلية إلا معلومات مكررة وقديمة وغالبا ما تكون تكرارا أو صدى لنظريات غربية وحتى الأخيرة ربما تكون قديمة وليست أحدث النظريات الغربية، وإذا أحدث النظريات الغربية، وإذا حاول المتخصص أن يتصفح الانترنت فإنه يجب عليه أن يكون متمكنا من لغات أخرى حتى يستطيع أن ينتقل ويسجل ما يتصفحه وإذا كان لباحث أن يقرا بلغة معينة فهذا جائز لبحثه أما إذا كان هناك شباب كُثر يميلون إلى تعلم لغات أخرى لمجرد استخدامها في مواقع الدردشة وربما تطغى لغة الدردشة على لغة الحياة اليومية مما قد يهدد هوية هذا الشباب لأن التفضيل اللغوي مرتبط بالولاء لثقافة دون ثقافة أخرى.

٣) إشكالية الكيف / الانتقاء :

غالبا ما يتركز التفجر المعرفي / المعلوماتي الآني في وسائط الكترونية سواء عبر الشبكة مباشرة أو عبر الأقراص المدمجة، وتبرز قضية تمثل إشكالية بمصر

بالنسبة لدول العالم النامي، تتمثل هذه الإشكالية في قضية الانتقاء المتعلقة بنوعية المعرفة التي يتم انتقاءها ، فغالبا ما تختار الشعوب والأفراد ما ينميها ويعظم قواها، أما في ظل صعوبة أو استحالة مراقبة الشبكة الدولية للمعلومات وما تحدثه من تدفق معلوماتي قد نجد كثير من الأفراد ينتقون مواقع الدردشة والمواقع الجنسية ، ولا أنكر أن هناك باحثين ومتخصصين يستفيدون من الشبكة الدولية للمعلومات ولكن قدر الاستفادة ليس بالقدر الكافي والمأمول.

ب] الحدود التقليدية - صراع القومي / العالمي:

احتلت الحدود التقليدية بين الدول مكانة كبيرة في التفكير الاستراتيجي أو فيما يتعلق بالعلاقات بين الدول، ولا زالت للحدود أهميتها إلا أن وسائل الاتصال الرقمية ساهمت في إحداث تواصل بين أفراد وجماعات وشعوب لم يكن من المتصور أن يلتقوا أو يتكلموا سويا، وهذا التواصل بين هذه المجتمعات أو الأفراد لا يعترف بالبعد الزمكانى، إذ أنه لم يعد هناك حاجة لأن أسافر لكي أتواصل مع غيري فكلنا على خط واحد نلتقي ونتحاور ونتعرف على العادات

والسلوكيات ومن ثم ينشأ التأثير والتأثر في أزمنة قياسية جدا، ووسائل الاتصال الحديثة لا تعترف بالحدود التقليدية مما يعنى أن هناك وعيا إنسانيا لا يعترف بالبعد المكاني في الاتصال بين البشر، لا أدعى في هذا الجزء إعلان سقوط الحدود التقليدية فما زال مفهوم السيادة وعدم الاقتراب من التراث الوطني أمرا محوريا بديهيا في ذهنية أي مجتمع، إلا أنه من الواضح أن الحدود الجغرافية التقليدية لم تعد تمتلك نفس الأهمية القديمة.

وإذا كانت الحدود التقليدية لم تعد تمتلك نفس الأهمية فإن انخفاض هذه الأهمية كان له مصاحبات عديدة أبرزها حدوث صراع بين المحلى القائم والعالمي الوافد، وخاصة في المجال الثقافي، وإذا كان للعولمة تجليات عديدة فإن أهم تجلياتها تنصب على الثقافة التي أرى أنها العماد الأساسي للتسويق للعولمة، فالثقافة ككل مركب من العادات والتقاليد وطرائق الحياة والفن والسلوك، معرضة للتشكيل ومحاولات التغيير، فعلى سبيل المثال معرفة نوع سلعة ما تستهلكها جماعة أو يقبل عليها مجتمع ما تبين الدوافع

النفسية والاجتماعية وبنية القيم والمعتقدات وأنماط الهويات الموجودة داخل هذا المجتمع، وللتوضيح إذا قامت إحدى الشركات المنتجة للخمور بعمل إحصائية ووجدت أن معظم إنتاجها من الخمور يصدر ويلقى رواجا في مجتمعات أمريكا الشمالية وأوربا ولطبقات معينة في الشرق الأوسط، فإن هذا الإحصاء يبين من الناحية النفسية نمط المعتقدات التي يعتنقها الأفراد المستهلكين ويبين من ناحية أخرى أثر المستوى الاجتماعي الاقتصادي على رواج سلعة ما، وإذا كان هناك " فيض سلعي" في الدول الغربية وأمريكا الشمالية فيلزم مراعاة الدوافع والقيم والمعتقدات في دول العالم الثالث من أجل الترويج وزيادة المبيعات والمستوى الاجتماعي - الاقتصادي، وتحقيق أعلى المكاسب.

وطبقا للتقعيد السابق فإن كل مجتمع يسعى للحفاظ على خصوصيته الثقافية ولغته وعاداته وتقاليده، باعتبار أن الاختلاط الثقافي يمهد لإمبريالية غير مباشرة، وفى هذا السياق نجد أن دولة مثل فرنسا لم توقع على اتفاقية "

الجات" فيما يخص الإنتاج الثقافي، وهذا يعنى أنها تسعى للحفاظ على خصوصيتها وثقافتها ضد العالمي الوافد عليها.

وكما تسعى فرنسا للحفاظ على الخصوصية، ويسعى الناس في معظم المجتمعات الكبرى للدفاع عن حياتهم وحريتهم الشخصية التي تتعرض للمراقبة الرقمية الحديثة، نجد لدينا أيضا حديثا عن الخصوصية الثقافية أو بالأخرى قلق وتوجس من الرياح الثقافية القادمة علينا، إلا أنه يوجد هنا عدة إشكاليات:

١ـ أن المجتمعات النامية بحديثها عن الخصوصية تقع في أزمة وتناقض متمثلين في الاحتياج للدول الكبرى التي تمتلك الوسائل الرقمية فإن أي حديث عن الخصوصية من الصعب تطبيقه إذا أننا في احتياج إلى هذه الدولة، فهي حينما تنتج برنامجا حاسوبيا مثلا تسعى لإنتاجه بلغتها الخاصة وبالتالي تحتاج لإتقان هذه اللغة ثم المصطلحات الفنية للتخصص المراد الاستفادة منه ولا يخفى أن تعلم لغة يعنى تعلم طريقة

تفكير أهلها والأخير يجرنا إلى فهم نمط العادات والتقاليد والسلوكيات وربما بفعل التمثل والتوحد مع النموذج أو النمط الحياتي الناجح مما ينعكس على عاداتنا وتقاليدنا.

٢- يشير " روهان سامارا جيفا Rohan Samara Jiva " إلى أن الحديث عن الخصوصية في الدول النامية يكاد لا يكون مطروحا على الأجندة الاجتماعية أو السياسية بينما نجد أن نصف سكان ولاية نيفادا بالولايات المتحدة لا تُعلن أرقام هواتفهم في دليل التليفونات" (٢١)

وإنني أتفق تماما مع رؤية " سامارا جيفا" إلا أنه ينقص رؤيته كثير من التوضيح ربما يتعلق ذلك بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي، فالغالبية الكثيرة من الناس في الدول المتقدمة تعيش في مستوى اجتماعي - اقتصادي مرتفع مقارنة بالناس في الدول النامية، والوضع الاجتماعي المرتفع غالبا ما يخلق هذه الرغبة في الخصوصية باعتبار أن الإحساس بالإشباع والاكتفاء يكاد يكون متقارب لدى

الجميع وبالتالي تأخذ الحدود الاجتماعية أهمية كبيرة لدى معظم الأفراد، بينما في المجتمعات المحرومة من الصعب أن تولد ثقافة الخصوصية باعتبار أن مستوى الحرمان والإحباط من الصعوبة بمكان تخطيه دون مساعدة اجتماعية وبالتالي يلجأ الفقراء لعرض احتياجاتهم وحرمانهم، فكيف أطالب بحماية حياتي الشخصية ورقم هاتفي في الوقت الذي يصعب عليّ فيه ضمان باقي أيام الشهر بالقوت الضروري، فهذا الوضع في المجتمعات النامية يخلق حالة من تميع الحدود في العلاقات الاجتماعية، وأضرب مثالا لصديق لي يسكن في منطقة شعبية فقيرة، ويشير إلى أنه نسىّ يوما أن يغطى كيس الفاكهة الذي أحضره لأولاده فوجد أن أعين الجيران تنظر لما في يده، كيف تتحقق الخصوصية ذهنيا على الأقل لدى المحبطين والمحرومين " إلا من يحسبهم الناس أغنياء من التعفف"

الهوامش

(١) " عبدالمنعم الحفنى ١٩٩٠ " المعجم الفلسفى، الدار الشرقية، القاهرة، ٣٣٦

(٢) " ديفيد هوكس (٢٠٠٠) ": الأيديولوجية، ترجمة إبراهيم فتحي، المشروع القومي للترجمة، ١٥٩، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٤٥: ٤٧

(٣) " سعيد المصري (١٩٨٥) " عرض كتاب ما الأيديولوجيا لياكوب باريون، في الأدب والأيديولوجيا ـ الجزء الأول، فصول ـ المجلد الخامس العدد الثالث ـ إبريل / مايو / يونيو، ١٦٥ ـ ١٦٦)

(٤) " ديفيد هوكس ، مرجع سابق ، ص ٢٧ "

(٥) "ديفيد هوكس ، مرجع سابق ، ٣ ـ ٤٧ "

(٦) [هوكس ، المرجع السابق ، ص ٩]

(٧) السيد يسين (١٩٩٧): في مفهوم العولمة " (في) " العرب والعولمة" بحوث ومناقشات الندوة الفكرية

التي مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٢٣.

(٨) عبدالسلام المسدي (١٩٩٩): (العولمة والعولمة المضادة، من كتاب سطور -٦-، القاهرة ص ١٠٧

(٩) إريك فروم (١٩٨٩) الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران ، مراجعة لطفي فطيم ، عالم المعرفة (١٤٠) – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، ص :١٩- ٢١ .

(١٠) أحمد أنور (٢٠٠٤) :أخلاقيات العولمة : دراسة في آليات التشيؤ وسلعنة الإنسان، مركز المحروسة،، القاهرة،ص:٧.

(١١) " السيد يسين (١٩٩٩): العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر والمعلومات ـ القاهرة، ١٥: ١٦ "

(١٢) " إسماعيل صبري عبدالله (١٩٩٨): الكوكبة أساس الظاهر كالاقتصادي الاجتماعي، النهج، ربيع ١٩٩٨، السنة ١٤، العدد ٥٠، ص ٧"

(١٣) " فالح عبدالجبار (١٩٩٩) : معنى العولمة ، النهج ، شتاء ١٩٩٩ ، ١٧ ، ص ١٠٣ "

(١٤) " محمد عابد الجابري (١٩٩٧): قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص ١٤٤: ١٤٥ "

(١٥) " محمد إبراهيم مبروك (١٩٩٩): الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة، ص ١٠١"

(١٦) " المرجع السابق ص ١١٠، ١١١ "

(١٧) المرجع السابق ص ١١١

(١٨) " أنطوني كبنج (٢٠٠١) الثقافة والعولمة والنظام العالمي، ترجمة شهرت العالم/ هالة فؤاد/ محمد يحيى، مراجعة محمد يحيى، ٢٨٧، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص ٢٩"

(١٩) " زكى الميلاد (١٩٩٨): الفكر الإسلامي وقضايا العولمة، مجلة الكلمة، عدد (٢٠)، السنة الخامسة.

(٢٠) " ألفين توفلر (١٩٩٥): تحول السلطة، ج ١، ترجمة لبنى الريدى، الهيئة العامة للكتاب، ص ١ - ١١."

(٢١) " روهان سارمارا جيفا (٢٠٠١): التفرقة في الخصوصية، رسالة اليونسكو، مارس ٢٠٠١، ص ١٧

الفصل الثاني

العولمة والتكيف النفسي الاجتماعي



مقدمة :

في ظل التقدم الرقمي الذي خلف تفجرا معلوماتيا معرفيا نجد أن المجتمعات كما يشير "ألبرت باندورا" تعانى من تغيرات اجتماعية ومعلوماتية وتكنولوجية عنيفة، فالتطورات الثورية في التقنيات الالكترونية في ظل العولمة تشكل الطبيعة البشرية والسرعة والقدرات مواضع التأثير في الإنسان" (١)

ويوضح " باندروا " أن التغيرات الاجتماعية والرقمية الحادثة ليست بمعزل عن طبيعة الإنسان وقدرته العقلية وسرعته في أداء المهام المختلفة والتي تمثل جزءا من المساحة العريضة للسلوك الإنساني، فإذا كان لشخص ما أو مهني في مجال ما سعى إلى الإلمام بالجديد في تخصصه أو المعارف العامة فإن ذلك وحده في ضوء العولمة ليس كافيا، فلكي يُلم الشخص المثقف أو المهني بمعارف جديدة في ظل التفجر المعلوماتى يتطلب ذلك مزيدا من التدريب والتعليم بدرجة متناسبة مع التفجر الحادث.

وطبقا للمثال السابق يتضح أن مستوى التدريب والتعليم والتثقيف المطلوب في حقبة العولمة ليس هو المستوى العادي خاصة في ظل التفجر المعرفي الآني، فمستوى التدريب المرتفع من الأفراد والجماعات والمجتمعات يتطلب مستوى مرتفع للقدرة على التكيف مع التغيرات الثورية الحادثة في العالم، ويبدو أن هذه القدرة ربما يمكن اكتسابها في مجتمع متقدم لأن المناخ الاجتماعي والنفسي يقيم أسواق العمل على المعلوماتية / المعرفة، وقد تعود الأفراد في هذه المجتمعات إلى التطوير والإنماء الذاتي لكي يجدوا لأنفسهم مكانا في سوق العمل، ويعد علم النفس من أكثر الأنساق العلمية المناسبة لمساعدة البشر على التكيف على مهمات التدريب المرتفعة التي تطلبها الحقبة الحالية، إلى جانب أننا إذا كنا نتخيل الإنسان في إطار الظروف أو السياق الخاص بمجتمع أو ثقافة معينة يصبح الأمر أكثر صعوبة في ظل العولمة التي بشرت بانفتاح الحدود وزوال أهميتها التقليدية، فهنا يصبح حصر المعلمات الثقافية لمجتمع ما صعب جدا باعتبار أن الثورة الالكترونية تغير

بشكل كبير وسريع معلمات الثقافة على مستوى العالم، وهذا يعنى أن علم النفس مطالب بإخراج رؤية موسعة عن الجنس البشرى لا تختص بإنسان مجتمع دون مجتمع آخر، وفى ذلك يشير "باندورا" "أن العولمة تخلق تنامي أولى للإحساس المعرفي الإنساني وأنه دخل بالفعل في كل أجواء الحياة ويجب على علم النفس أن يُخرج بوضوح رؤية موسعة وليست جزئية عن الجنس البشرى" (٢)

ويبدو أن المهمة الأساسية لعلم النفس في ظل الحقبة المعلوماتية الآنية وفى ظل العولمة أن يمهد لمساعدة البشر على التكيف مع التغيرات الحادثة، وهذا التكيف في ظل العولمة والتفجر المعلوماتى المعرفي يعتمد على:

١ ـ ضرورة سعى الأفراد نحو مزيد من التعلم الذاتي أو ما يعرف بتنظيم الذات التعليمي.

٢ ـ ضرورة السعي لتعلم عادات صحية ونفسية تخدم تنظيم الذات الصحي.

٣ - إنماء الوعي بضرورة الإلمام بمعظم المعلومات والمعارف الجديدة ليخدم ذلك تنظيم الذات الوظيفي.

٤ - التواصل لخدمة الإحساس المعرفي الانسانى المتنامي بعد شبه زوال أهمية الحدود التقليدية.

٥ - محاولة التكيف مع تعدد الأدوار.

٦ - التخطيط للحياة.

٧ - التغير السياسي والاجتماعي.

أولا: تنظيم الذات التعليمي **Educational self – Regulation**

إذا قمنا بعد عناصر معينة مثل (المعلم - الطالب - المحتوى....) فإن هذه العناصر في مجموعها تمثل الموقف التعليمي المعتاد، إلا أن هذا الموقف قد تغير في كثير من دول العالم وخاصة المتقدم، فالتكنولوجيات المعلوماتية سوف تغير النظم التعليمية، فالطلاب الآن يستطيعون التدريب على التحكم في تعلمهم الذاتي، ففي الماضي كان النماء التعليمي يعتمد بدرجة شديدة على نوعية المدارس التي يلتحقون بها، إلا أن الطلاب الآن أصبح لديهم أفضل

المكتبات والمتاحف ووسائط التعليم المتعددة ومن خلال شبكة الانترنت يمكن أن يتدربوا على تعليم أنفسهم بغض النظر عن مكان تواجدهم.

وطبقا لما سبق يتضح أن الطلب على الصورة التقليدية للمعرفة ــ والمتمثلة في تعلم مهارات أو معلومات من مصدر بشرى فقط ـ بدأ يقل بشكل تدريجي، فنحن الآن " ندخل حقبة َجديدة تتأسس على المعرفة ومن هذا المنطلق فالكثير من المعلومات ستكون متاحة فقط في صيغة الكترونية، لذا فمعرفة أو اكتساب مهارة تشغيل وتقييم هذه المعلومات المنهمرة يُعد أمرا حيويا لبناء المعرفة من ناحية والوظائف المعرفية البشرية من ناحية أخرى." (٣)

وجدير بالذكر أن الوسائط الالكترونية وخاصة المتاحة عبر الانترنت تؤدى أكثر من وظيفة منها " أنها تقدم مداخل موسعة للمعلومات وتخدم كوسيلة لبناء شبكات اجتماعية تتصل ببعضها البعض عبر الزمالة التي تتشارك في الاهتمام بما تحمله هذه الوسائط من مادة معلوماتية، وهذا

يعنى إن هذه الشبكات تتشارك سويا عبر العالم مما يخلق مشروعات جماعية" (٤)

إلا أنه يجدر بنا أن نشير إلى أن التكنولوجيات المعرفية تمثل أداة وليست دواء للإنماء المعرفي، فالتدريب من خلال الانترنت يقوم بالقليل أو أن الطالب أو المتعلم لا يستطيعون تحضير ذواتهم للحصول على الميزة المعروضة، في هذه النظم، فالطلاب والمثقفون عامة يجب أن يطوروا مهارات في تنظيم الدافعية والوجدان والتعامل مع المحددات الاجتماعية لوظائفهم العقلية والمعرفية، فالأفراد الأكثر فعالية في تنظيم ذاتهم Self-Regulators Efficacious يحصلون على معرفة ومهارات واهتمامات جوهرية تثرى إمكاناتهم العقلية، أما الأفراد منخفضي تنظيم الذات فهم لا ينجزون تقدما كبيرا في إنماء الذات.

ويجب أن ننتبه إلى عدم الإفراط في الأمل فيما يتعلق بالتكنولوجيات الالكترونية المستخدمة تعليميا، وإذ أنه تظل العوامل السيكولوجية هي المُحدد الأساسي للاستخدام والتدريب، فالمتعلمون يحتاجون تنظيم الفعالية الذاتية

ويغرسون الطموح في أنفسهم ليجدوا أولا المعنى والاتجاه القائم وراء سعيهم العقلي والفعلي أو السلوكي، ويقتضى ذلك تنقية السيل المعلوماتى الذي يتم تلقيه وكيفية تحويل السيل المعلومات المنهمر إلى معرفة وحكمة، وهذا يقتضى أيضا الاهتمام والمراجعة لمحتوى التعليم المدرسي المبكر وتقويته إن كان يتسم بالوهن وإن من وهن هذا المحتوى إذا كان يسهل نسيانه بمرور الزمن أما إذا كان التعلم يثبت ولا ينسى بفعل انه قد تحول إلى مهارة، فإن ذلك يمثل دالة قوته، وكما يشير " باندورا" أن ماله قيمة يصبح قدرة على تنظيم الذات ويظل ثابتا كمصدر من المصادر الشخصية ويظل نواة أي نمو ذاتي مستمر" (٥)

ويشير بعض الباحثين من أمثال "رايان وكونيل Ryan & Connel " إلى أن تنظيم الذات التعليمي لدى الأطفال يشترط أربع مكونات رئيسية تتمثل في توفر أربعة مصادر رئيسية هي:

١- التنظيم الخارجي External Regulation:

ويشير هذا البعد إلى المحيط أو السياق الذي يتم فيه إدراك المنافسة والاختيارات التي تتيح تنظيم الذات أكاديميا.

٢- التنظيم المُستدخل Interojected Regulation:

يوضح هذا البعد أن الشخص بعد إدراكه للتنظيم أو الاختيارات الخارجية يقوم باستدخال ما أدركه من اختيارات.

٣- التنظيم المُحدد Identified Regulation:

يشير هذا البعد إلى أن الشخص يحدد بدقة اختياراته مما أدركه واستدخله .

٤- التنظيم الداخلي Intrinsic Regulation:

في هذا البعد يتحول التنظيم الخارجي الذي تم استدخاله ثم تحديده إلى تنظيم ذاتي داخلي يحرك الطفل نحو أداء أكاديمي متميز.

أما تنظيم الذات التعليمي عند الكبار أو الراشدين فهو يتحدد بمكونين رئيسيين هما:

١- التنظيم المستقل Autonomous Regulation:

في هذا البعد عند الراشدين نجد أنهم ينظمون ذواتهم من أجل التعلم دون الحاجة لمثيرات خارجية وباستقلال عن السياق المحيط.

٢- التنظيم المتحكم فيه Controlled Regulation:

ويشير تنظيم الذاتي التعليمي في هذا البعد إلى سيطرة الفرد على تعلمه الذاتي (٦)

ثانيا: تنظيم الذات الصحي Health self-Regulation

ظل الفهم الصحي لفترة طويلة يتبنى منظور الرؤية المرضية أو النموذج المرضى disease model، إلا أن الوقت الحالي يشهد انتقال منظور الرؤية إلي النموذج الصحي Health model، وربما يعود هذا التحول إلى الاهتمام بعادات نمط الحياة Life style habits والظروف البيئية، فالتدريب على العادات الصحية يمكن أن يؤدى إلى عمر أطول واصح وأن يُبطئ ذلك من الشيخوخة، فالبقاء بصحة جيدة يمكن أن يتحقق من خلال التدريب على التقليل من التدخين والتقليل من المواد الدهنية وبالتالي الاحتفاظ بضغط دم منخفض

وتطوير طرق فعالة لمواجهة الأحداث الضاغطة، فهذه العادات تعطى للحياة (إكسيرها)، فلو أن كل هذه الفوائد الصحية لهذه العادات لهذا النمط الحياتي قد وضعت في حبة دواء لأظهرت تقدم غير مألوف في مجال الطب.(٧)

ويجدر بنا أن نشير إلى حقيقة هامة مؤداها يمكن أن يتضح بالمثال الآتي: إذا كان هناك مؤسسة علاجية أو طبيب أو معالج نفسي في مجتمع ما ينظر إلى المرضى من منظور توفر أعراض معينة لكي يمكن الحكم على شخص ما بأنه مريض، ويمثل ذلك أساس التشخيص وهذا الأمر لا ضير فيه ولكن في ضوء القرية الكونية الحالية كيف يمكن تعميم أعراض أو تشخيصات معينة، ولنأخذ مثالا على ذلك: حينما يتعلق الأمر بالجنسية المثلية ترى الثقافة العربية والإسلامية أنها انحراف وشذوذ ومرض، بينما هناك مجتمعات لا تري الجنسية المثلية كذلك ، فالإجابة علي الاختلاف الثقافي في القرية الكونية ربما يؤدي إلي التنميط الثقافي باعتبار أن الصحة والمرض مسائل تخضع للثقافة والقرية الكونية ربما يحدث لها تنميط ثقافي وتوحيد للبشر،

وقد تؤدي الاختلافات الثقافية والرغبة في الإحساس بالقرية الكونية إلي الانتقال من نموذج المرض إلى نموذج الصحة، بمعنى أن اضطراب عادات نمط الحياة في بيئة ما ربما يؤدي إلى خلق المرض ، أما إذا انتظمت عادات نمط الحياة فإن ذلك قد يخلق الصحة فمفهوم عادات نمط الحياة ربما يختلف من ثقافة إلى أخرى ولكن هناك حد أدنى للاعتراف بوجود عادات نمط الحياة مهما اختلفت معلمات الثقافة من مجتمع لآخر،فعادات نمط الحياة أو اضطرابها كدالة علي المرض أو السواء لا يصطدم مع التباين أو التنميط الثقافي المتوقع في إطار القرية الكونية.

ومما لا شك فيه أن أنظمة الرعاية الصحية في دول العالم الثالث متأخرة بدرجة كبيرة، عن الدول المتقدمة، إلا أن الملفت للنظر أن يقر أحد المحللين للنظم الصحية في الولايات المتحدة أن هذه النظم بما تقدمه لا تجعل الناس أصحاء (٨)

إلا أنه يجدر بنا الإشارة إلى أنه لا يمكن استبدال الرعاية الصحية بعادات تنظيم الذات والظروف البيئية ولكنها عامل

رئيسي ومساعد بجوار نظم رعاية صحية جيدة، فنظام إدارة الذات الصحي يقوم على مبدأ تنظيم الذات صحيا من أجل تقليل النمو الصحي.(٩)

وعلى ذلك فإن نموذج إدارة أو تنظيم الذات الصحي يحقق ربطا بين اتجاه الفردية المرتفعة للمدخل الاكلنيكى من ناحية، والمعيار الموسع الممكن تطبيقه لمدخل الصحة العامة من ناحية أخرى، والمدخل الموسع للصحة العامة لم يعد مقصورا على مجتمع بعينه وإنما يمكن عرضه على شبكة الانترنت من أجل الإرشاد الصحي الوقائي لأي مجتمع مع مراعاة أن يكون علي درجة من العمومية تسمح بتطبيقه في إطار القرية الكونية بثقافاتها المختلفة سواء في إطار توجه التنميط أو ا لتنوع . (١٠)

ثالثا: تنظيم الذات الوظيفي Occupational Self-Regulation

في إطار الحديث عن الوظائف والعمل نجد أن هناك تمييزا رئيسيا بين مرحلتين حدث فيهما تحول تاريخي، فالمرحلة الأولى: حيث كانت نظم الإنتاج تدار يدويا من خلال الآلات وكان ذلك في الحقبة الصناعية، أما فيما بعد

المجتمع الصناعي فقد تحول المجتمع إلى الارتكاز على المعرفة والمعلومات وهذا يتطلب من الأفراد كفاءات جديدة في تنظيم الذات.

وإن أهمية تنظيم الذات فى المجال الوظيفي تبرز في عدة أشياء منها:

١- أن جزءًا رئيسيا من حياة الناس يتم قضاءه في أنشطة وظيفية وإنّ الوظيفة لا تمد بالدخل فقط وإنما تخدم كمصدر رئيسي للهوية الشخصية وتقييم الذات والتواصل الاجتماعي. (١١)

٢- وإن إهمال تنظيم الذات وظيفيا يترتب عليه نوعا من الرتابة لأن الشخص ربما لن يترقى أو ستتسم حياته الوظيفية بالاستاتيكية.

٣- وإن سوق العمل لم يعد يعرض الوظائف الروتينية، فأقل الأعمال يتطلب كفاءات في اللغة وعلوم الحاسب وبالتالي عدم السعي لتنظيم الذات وظيفيا يعنى أن معدل البطالة سيزيد.

٤- وجدير بالذكر أن طبيعة العمل في عالم اليوم لم يعد يعتمد على فرد واحد بقدرات عالية وإنما أصبح عالم العمل يعتمد على التحكم بمرونة في إدارة فرق العمل أو التعامل مع رفقاء العمل ويبين ذلك ضرورة وصول فريق العمل إلى مستوى متقارب من المهارات وإلا سيصبح الأقل مهارة فى الفريق معوقا للعمل والإنتاج وبالتالي " يجب أن يأخذ الأفراد على عاتقهم مسالة نمائهم الذاتي وذلك لتنوع المكانات والوظائف التي تغطى كل مجالات الحياة الوظيفية" (١٢)

وعلى ذلك فإن تنظيم الذات الوظيفي إذا أخذه الأفراد بمحمل الجد فإن ذلك يصبح نوعا من التكيفية الفعالة، وهذه التكيفية الفعالة تعد بإثابة على المستوى الوظيفي من ناحية، وتعد بإمكانية بقاء المؤسسات وتجددها باستمرار لكي تنجح في إطار التغير السريع للسوق العالمية، وإن البقاء في حالة نجاح وتطور مستمر يفرق بين من يكتفي بمستوى معين من التطور ومن يدرك أن المهارات التي وصل إليها ليست نهاية المطاف (١٣)، فمن يقف عند الإدراك الأول غالبا لا

ينجح في ضوء التوجه الدارويني الذي أفرزته أيديولوجيا العولمة.

رابعا: الإحساس المعرفي الإنساني:

في سياق الحديث عن الإحساس المعرفي الإنساني من الضروري الإشارة إلى أن هذا الإحساس له مدعمات ثلاث **أولى** هذه المدعمات تختص بوحدة الذهن البشرى في أساس فيزيائي واحد لا يتوقف على دينامية عمل المخ فقط وإنما على الديالكتيك القائم بين الفيزياء العصبية وفعالية المؤثرات البيئية ، **وثاني** هذه المدعمات إحساس البشر المعرفي بأن تطورهم وصفاتهم لم يعد خاضعا للانتقائية البيولوجية الطبيعية وإنما أصبح الانتقاء البيولوجى خاضعا لتقنيات الهندسة الوراثية والتي أصبحت أداة في متناول العلماء، **وثالث** هذه المدعمات عولمة الاتصالات على مستوى القرية الكونية، وفيما يلي تفصيل هذه النقاط:

1. **الأساس الفيزيولوجى للإحساس المعرفي الإنساني:**

لقد صاحب زوال الأهمية الطبيعية للحدود التقليدية الجغرافية السعي لتوحيد الجنس البشرى من خلال تنميطه

اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ونفسيا وأصبح علم النفس معنيا بدرجة كبيرة بالبحث عن الأساس الفيزيولوجى الذي يُوجد الأساس المشترك للنظر للإنسان في إطار القرية الكونية، وهذا الأساس الفيزيولوجى قد لخصه " باندورا" (١٤) في البحث عن " النظرية الفيزيائية للإحساس المعرفي الإنساني Physicalistic theory of Human agency "، وخلاصة هذه النظرية التي يراها " باندورا" أساسا في النظر إلي وحدة الجنس البشرى تقوم على عدة أسس منها:

١- يمتلك الناس القدرة على التأثير فيما يريدون فعله وفعل الأشياء كما يحبون.

٢- وإن الناس لا يشتركون فقط في استدعاء الميكانيزمات المخية المستثارة بفعل المثيرات البيئية، وإنما يشتركون في وظائف النظم الحسية التي تمثل وسائل يستخدمها الناس لإنجاز الأشياء التي تعطى المعنى والاتجاه والرضا الحياتي ، ويأتي الدليل علي ذلك من الخاصة الأبحاث بنمو المخ البشرى ، حيث تمدنا برؤى جديدة في التفسير النفسي الاجتماعي للبنية الوظيفية العصبية للمخ البشرى. (١٥)

٣ـ وتبعا للمنظور النفسي الاجتماعي فالمحددات الأساسية للخبرة هي محددات تنشأ بفعل التعلم الاجتماعي، وأما الأساس العصبي فيمثل الهيولي أو الإمكانية للفهم والتصرف والإدراك، وما يثبت أن الأساس العصبي وحده لا يمدنا بالإحساس المعرفي بدون فعل البيئة المثال الشهير في الأدبيات السيكولوجية والذي يشار فيه إلي أطفال تم حبسهم في غرفات مظلمة أو تركوا في الغابات منفردين فأصبحوا كائنات بيولوجيه فقط ، فلو كان الأساس العصبي وحده كافيا لقام بإمداد هؤلاء الأطفال بالإحساس المعرفي الإنساني ، وعلي النقيض من ذلك نجد التعلم الاجتماعي الذي يكون إحساس معرفي ينشأ من خلال التفاعل مع السياق الاجتماعي. (١٦)

٤ـ وإذا كان التعلم الاجتماعي هو الذي يشكل إحساسنا بسمة الإحساس المعرفي الإنساني فإنه يجب الإشارة إلي أن المثيرات البيئية في الواقع مثيرات هجين، فهي ليست معرفية فقط وليست وجدانية فقط وإنما هي معرفية وجدانية في آن واحد وبالتالي فهي ليست خاضعة للثنائية الديكارتية

التي لا ترد الكيفيات المعرفية إلى وجدانية والعكس وإنما تنظر للمخ أو العقل البشرى باعتباره كلا لا يتجزأ، ويبدو أن العولمة لا تتسم بالسعي لوحدة الجنس البشرى فقط في إطار الثقافة الكونية وإنما صاحبها تطور في أبحاث المخ البشرى مما يثبت التكامل في النظر للكائن البشرى وإلغاء الثنائيات التقليدية.

٥- ويتضح من كل ما سبق أن البشر جميعا في هذا العالم محكوم تفكيرهم بمحددين رئيسيين أحدهما المثيرات البيئية، وأما الآخر فهو الميكانيزمات المخية وأن البشر جميعا عقولهم لا تخضع للقسمة الثنائية الديكارتية ويمثل ذلك توحيدا للبشر على مستوى القرية الكونية ، **ومجمل القول أن العولمة في إزالتها للحدود التقليدية تحقق مقومات القرية الكونية مدعومة بوحدة النظر للمخ البشري من خلال رد الوجداني لمعرفي والأخير لوجداني .إلي جانب اشتراك البشر جميعا في الخضوع لميكانيزمات المخ ومطرقة المثيرات البينية .**

تختص الفيزياء العصبية بشكل رئيسي في عمليات معالجة المعلومات والنية وتدوير الأفكار ونقلها وتمثيلها أو استيعابها، وأن هذه العمليات حينما يقوم بها الكائن البشرى يشعر بسمة رئيسية مؤداها الإحساس بأنه بشر أو إنسان، على العكس من الحيوانات فإنها لا تشعر بسمة الإحساس المعرفي الإنساني وذلك لأنها لا تعي أو تملك إطارا تبريريا في الغالب لما تفكر فيه، وفى ذلك يشير "باندروا": " أنه قد شكلت الأنظمة المتخصصة في الفيزياء العصبية neurophysiological systems بواسطة ضغوط تطورية تمدنا بالقدرة القوية لسمة الإحساس المعرفى الإنساني والتي تميزنا كبشر" (١٧)

وإذا كان الفضل يعود إلى الفيزياء العصبية في إحساسنا أو وعينا بسمة الإحساس المعرفي الإنساني فإننا من خلال الإحساس المعرفي الإنساني يمكننا أن نتغلب على القيود في السياق البيئي المحيط بل وإعادة تصميم وتأسيس بيئات

يـروق للأفـراد أن يعيشـونها مـن خـلال الإلمـام بنيـاتهم وعزوهم وأنساقهم القيمية واتجاهاتهم ، بل والإلمام بالتأثير الـذاتي فـي الآخـرين عـن طريـق النمذجـة والمشـغلات الخبروية الأخرى، ومن إحساسنا المعرفي الإنساني يتمكن البشر من التفكير في حجمهم وعددهم في المجتمع ومن ثم بزغت فكرة تنظيم الأسرة وتعدى الأمر ذلك إلى محاولة البشر السيطرة بشكل كامل على معدل الخصوبة وهذا يعني أن الإحساس المعرفي الإنساني قد غير نموذج التفكير الذي يرتكن إلي مبدأ الانتخاب الطبيعي فقد أصبح الانتخاب يخضع لإرادة الإنسان في إحداث التغيير، وهذا الانتخاب أو التطورية الجديدة قد تم تدعيمها من خلال منظور يقوم بصهر تقدم الهندسة الوراثية والعلوم المعرفية والدعوة للعولمة" (١٨)

ولم يكتف الإنسان بمجرد التحكم في معدل الخصوبة وإنما أصبح البشر عملاء رئيسيين في عملية تطورهم للأحسن أو الأسوأ من خلال وسائل تنظيم الأسرة والهندسة الوراثية، فقد ابتكر البشر تقنيات بيولوجية لإزالة المعوقات

الجينية ولتغيير الخريطة الجينية للنباتات والحيوانات، وهذه التقنيات البيولوجية تمكن من الوصول إلى الطرق التي تؤدى إلى تغيير الشفرات الكودية للبشر مما يعنى أن الإنسان أصبح مساهما في عملية تطوره، فعلى سبيل المثال هناك جينات تختص بالذكاء والمرح.. إننا يمكن أن نتصور في المستقبل القريب أن يحاول الآباء اختيار الصفات التي تجعل من أبناءهم عباقرة ومتميزين، وهذا الفهم المتقدم لطبيعة البشر قد انبثق في الأصل من الإحساس المعرفي الإنساني الذي يميز الإنسان عن سائر الموجودات في هذا العالم، ومن خلال الهندسة الو راثية في المستقبل القريب ربما تعدنا بتكوين اجتماعي يتوقع فيه مزيدا من اختيار السمو في صفات الأفراد وإن كان هندسة الطبيعة البشرية الآن مازال تحت البحث والقبول والرفض الاجتماعي إلا أن السماح بهندسة طبيعة المرض من أجل إشفاء البشر لهو خطوة أولى تمهد للسماح بهندسة الطبيعة البشرية ويتفق ذلك مع ما يشير إليه "باندورا"، " إننا نرى تطبيقات تقنياتنا

القوية فى هذا المجال والتي اكتشفت لتلعب دورا حيويا فيما سيصير عليه تشكيلنا لمصائرنا. (١٩)

٢. عولمة الاتصال والتنامي الأولى للإحساس المعرفي الإنساني:

إن ما تمر بها مجتمعات هذه الأيام من تغيرات اجتماعية ومعلوماتية وتكنولوجية قوية يعد بتشكيل طبيعة البشر وسرعتهم وقدرتهم العقلية، وإن التغيرات القوية والمفاجئة في مجري الحياة الحاضرة تعيد صياغة التركيب الحياتي ليست جديدة في التاريخ وإنما الجديد كما يشير "باندورا" المنظور غير المنتهى والمتسارع في التواصل الإنساني بتنامي عولمة الاتصال " growing globalization of human interconnectedness" (٢٠)

وإن هذا التغيّر غير المنتهى والمتسارع فى إطار العالم السيبرنطيقى Cyber world يتسامى على الزمان والمكان والمسافة والحدود الوطنية والقومية، فإن وسائل الاتصال في أيامنا هذه يصعب السيطرة عليها بدرجة كبيرة وبالتالي هناك ما يمكن تسميته **فوضى الاتصالات**، وبالرغم من

صعوبة السيطرة على الوسائل الاتصالية فإنها تشكل الآن إلى حد كبير كيفية تعلم الناس واتصالهم، فالانترنت مثلا يشكل كيف يتعلم الناس ويتواصلون ويرتبطون سويا بل وكيف يديرون شئونهم اليومية وأعمالهم المختلفة، وإن ذلك يعني إلغاء الحواجز التقليدية التي قسمت العالم إلي شرق/غرب ، دول الشمال/دول الجنوب ، عالم متقدم /عالم متخلف...، وإلغاء الحواجز التقليدية من المفترض أن يترتب عليه احتمالين :

أولهما : الصرع الدارويني وسيادة ما أسميه ثقافة الابتلاع.

ثانيهما : تقوية الإحساس المعرفي الإنساني ونشوء شبكات تواصل عبر القرية الكونية بعيدة عن التوجهات الأيديولوجية للحكومات الرسمية.

خامسا: تعدد الأدوار:

إن الإنسان من بداية الحياة وهو يمارس أدوارا اجتماعية وهذه الأدوار كباقي مظاهر الحياة اتسمت بسمة الانتقال من البساطة للتعقيد، ففي البداية كان الإنسان يمارس دور الأب في أسرة صغيرة ثم ما لبث أن مارس بعد اكتشاف الزراعة

دور الراعي للعائلة والأرض التي قام بزراعتها، ثم بكبر حجم عائلته وبظهور النزاع بين أفراد العائلة التي بدأت تكبر مارس دور القاضي على عشيرته ثم شيخا لقبيلته.... الخ، وإن زيادة الأدوار لم يكن سهلا على الإنسان وإنما مارست هذه الزيادة النفس اجتماعية للأدوار إحساسا ضاغطا عليه، فإن الضغوط تنشأ كما تشير نظريات الضغوط السائدة حينما ندرك أن مطالب مهمة ما تزيد على تصورنا لقدراتنا ويرتبط ذلك بشكل كبير بإدراكنا لفعاليتنا الذاتي في مواجهة مختلف الظروف التي تعن لنا.

وقد أوضح " ماتسيو - أونجلاتكو Matsui & Onglatco" أن النساء الموظفات اللاتي كان لديهن إحساسا منخفضا بالفاعلية كانوا يخبرون الضغوط والكروب من خلال مطالب العمل ومسئولياته على النقيض من هؤلاء اللاتي أدركن فعالية مرتفعة كن أقل إحباطا ولكن في حالة كرب مما يعيق الاستخدام الكامل لمواهبهن" (٢١)

ويبدو أن معظم البحوث الخاصة بتعدد الأدوار والضغوط قد اختبر بشكل كبير لدى النساء العاملات،

فالتطورات التي حدثت للبناء الأسرى جعل المرأة تقوم بأدوار مزدوجة فهي مطالبة بأن تسعى بشكل حثيث إلى الإنجاز المهني وفى نفس الوقت النجاح في الحياة الأسرية ويطرح ذلك تحديا حول كيفية تحقيق المرأة للتوازن بين المطالب الأسرية والمطالب المهنية. (٢٢)

إننا في إطار حقبة العولمة الحالية ومن خلال النظر لما فيها من سرّعة للتغير وتفجر معلوماتي وانقلاب أو تبدل ثوري في حياة المجتمعات والأدوار الشخصية والاجتماعية نجد أن علم النفس يضع التأثيرات الناتجة عن ذلك في نمو الإحساس بالكرب وظهور الخلافات الأسرية وقد تعددت الدراسات بشكل كبير قد يصعب حصره حول الزيادة السلبية للضغوط الوظيفية على حياة الأسرة إلا أن هناك القليل من الدراسات حول إمكانية تعزيز أو تقوية الرضا المهني وتأثير ذلك على نوعية حياة الأسر، وفى هذا السياق نجد بحث " أوزر Ozer" حيث يوضح فيما يختص بالمرأة أن إحساسها بالفعالية في إدارة الأدوار المزدوجة يساهم في أن تشعر الأسرة بمزيد من العافية والصحة. (٢٣)

سادسا: التخطيط للحياة:

في إطار فوضى الاتصالات وصعوبة التنبؤ بالتغيرات علي مستوى القرية الكونية يبدو أن الأفراد مواجهين بمدخلين في مواجهة الحياة، أحد هذه المداخل يتمثل في مدخل التخطيط للحياة، وأما الآخر فهو مدخل المصادفة ، مما يعنى التخطيط / المصادقة Planing / Fortuity ، وعلى هذين المدخلين ينقسم الناس قسمين، فهناك من يخططون للتدريب على التحكم في نمائهم الذاتي وظروفهم الحياتية، ومنهم من يفضلون الحياة طبقا للمصادفة والفرص والحظ. (٢٤)

ويبدو أن مسارات الحياة تسير في الواقع طبقا للمصادفة بشكل كبير وليس طبقا للتخطيط للحياة، وإذا كانت المصادفة تحكم مسارات الحياة بشكل كبير فإن المصادفة تتحكم بشكل أكبر في مسارات الحياة في ظل فوضى مداخل الاتصال المعولم، فمثلا التخطيط للزواج في ضوء الاتصال المعولم ربما يتخطى النظرية التي ترى أن الجوار الجغرافي يؤثر بشكل كبير في التخطيط الزواجي، وربما تؤثر فوضى الاتصال المعولم فى الإثنيات أو الثقافات

الفرعية في مجتمعات بعينها فمثلا الانفتاح الثقافي لثقافة فرعية على مستوى القرية الكونية ربما يغير بشكل كبير معلمات هذه الثقافة إما من خلال الإعجاب والتوحد عن طريق الاستدخال لعادات وأفكار ثقافية أخرى وإما عن طريق الاتصال الذي قد يؤدى لمصاهرة مع ثقافات أخرى.

والمصادفة قد لا تعنى غياب التحكم في المؤثرات البيئية وإنما قد تعنّى أن الشخص يسعى لحياة نشطة مليئة بالإثارة وبالتالي يخلق ذلك مزيدا من الفرص والمصادفات التي تشكل مسارات حياته ، والمصادفة تتسم بالسهولة على الفضوليين ومحبي البحث الذين يذهبون للأماكن المختلفة ويقومون بالأشياء ويكتشفون أنشطة جديدة.(٢٥)

إلا أنه جدير بالذكر أن المصادفة وحدها لا تكفى لحياة ناجحة فإنماء الذات وبناء المصادر الشخصية يظل المدخل الرئيسي لمسارات حياتية ناجحة وكما قال " باستير Pasteur" من قبل " إن المصادفة تخدم فقط العقل المُجهز Chance favors only the prepared mind "

سابعا: التغير السياسي والاجتماعي:

تغير تكنولوجيا الانترنت العمليات السياسية والاجتماعية ، فهي تعطى فرصا سريعة ومباشرة للمشاركة في الاهتمام بالشئون السياسية والاجتماعية ، فالانترنت وسيلة سريعة وثرية الإمكانات ومتحررة من التحكمات المؤسسية، فالصراعات السياسية والانتقادات الموجهة للسياسات المختلفة تتحول إلى العالم السيبرنطيقى، فحيثما تعلن التصريحات السياسية والانتقادات المتوالية يتم إذاعتها فوريا على الإنترنت ، والعالم السيبرنطيقى لا يحتوى على صوت واحد وإنما أصوات متعددة، والتحرير أو الصحافة الالكترونية لا تخدم أيديولوجية واحدة ، وإنما تخدم أيديولوجيات متعددة وربما تحل محل شبكات الأخبار التقليدية. (٢٦)

وإذا كان تقدم الأمم يُقـاس بمدى سعيها الديمقراطي فإن تكنولوجيا الانترنت قد أثارت أحاديث ربما الكثير منها حول ديمقراطية النشر الالكتروني. وتحرير قوى الانترنت Liberalizing Power of the Internet ، إلا أنه يجب أن نحترس من

الأمل المفرط في علاج الأزمات والمشكلات السياسية والتمثيل الحكومي، فربما تساهم تكنولوجيا الانترنت في توزيع ونشر القدرة على الاتصال داخل المجتمع وعبر الحدود في القرية الكونية إلا أن هذا النشر والتوزيع الإتصالى الالكترونى لا يضمن أو يحتم حدوث التواصل الذي تتسم به المجتمعات الديمقراطية، والأمر الأشد خطورة في المجتمعات النامية، أن هذه المجتمعات تعانى في الأصل من غياب المناخ الديمقراطى المتكامل إلى جانب تدنى الوعي السياسي والاجتماعي في عمليات الديمقراطية العادية (مثل الإقبال علي الانتخابات- الإقبال على الاشتراك في الأحزاب ...) فما بالنا بالديمقراطية الالكترونية التي تتطلب فهم ما وراء القرارات السياسية والتوازنات الدولية ومتابعة المواقع الإلكترونية وتوفر العقل الناقد الذي يستقبل من أكثر من مصدر ويحكم علي مدي دقة ما يستقبله باعتبار أن العمليات السياسية أصبحت تتم في إطار تشابكات واسعة ومعقدة على مستوى القرية الكونية.

ومن الملاحظ على الديمقراطية الالكترونية وخاصة في حجرات الدردشة أنها تحتوى في بعض الأحيان على بعض الأحاديث التنويرية إلا أن معظم الحجرات وما يسودها من دردشة غالبا ما تكون خاطئة معلوماتيا ومثيرة للنزاع ومضللة وليست ضرورية ولا تفيد بشكل كبير في التحسن البشرى.

وجدير بالذكر أن المداخل الاتصالية السريعة وخاصة الانترنت ستقوم بتحويل كثير من مناحي البحث السيكولوجي إلى الاتجاهات الآتية:

١- الإمداد بالمعنى:

في ظل إحساس الناس بالفعالية الشخصية والجماعية التي تتأكد من خلال صوت مسموع في ظل سياسات العالم السيبرنطيقى يجعلهم ذلك قادرين على أن يعيشوا حياة ذات معنى وخاصة إذا رأوا أن الاتصالات التكنولوجية تساعدهم على إنجاز هذه المخرجات المرغوبة . (٢٧)

٢- الإقبال على الإضرار بالبشر:

ليس هناك نشاط من نشاطات الحياة اليومية إلا وأصبح الحاسوب داخلا فيه، وكثير من النشاطات أصبحت تعتمد على الشبكة الدولية للمعلومات وهذا يعنى أن هناك استفادات اجتماعية كبيرة تعود من هذه النشاطات ، وإذا كان الأمر كذلك فإن أي خطورة على الاتصال عبر الانترنت وخاصة فيما يتعلق بالتجارة الالكترونية سيمثل تهديدا لآلاف العمال والموزعين والمنتجين عبر العالم ، والخطورة تكمن فيما يعرف الآن بالجريمة السيبرنطيقية Cybercrime أو الإرهاب السيبرنطيقى Cyberterrorism والذي غالبا ما يأتي من خلال " الهاكرز" الذين يرسلون الفيروسات عبر أنظمة البريد الالكترونى مما يكلف الشركات بلايين الدولارات، هنا يأتي علم النفس ليبحث سلوكياتهم على الانترنت، ويبحث علم النفس أيضا التأثيرات النفسية والاجتماعية لمثل هذه الأعمال التي تهدف الإضرار بالآخرين.

٣- التناقض الاتصالى:

إن استخدام الانترنت خلق تناقضا لم يكن متوقعا ، فالمتوقع أن الانترنت سيخلق عصفا اتصاليا عبر العالم، إلا أنه قد خلق عزلة في الاتصال المتصف بالإنسانية ، فالاتصال أصبح مع آلة أكثر منه مع البشر بشكل مباشر وإنساني ، فالأفراد الذين يستخدمون الانترنت غالبا ما يظلون فترات طويلة بعيدين عن سياقهم الاجتماعي لصالح اتصال بأفراد آخرين في سياقات أخري ومختلفين ثقافيا.

٤- مناقشة الخصوصية:

لا يمكن إنكار أن الانترنت كان وسيلة حققت ثورة وتفجرا معلوماتيا ملحوظا، وقد احتوت معلومات الانترنت على معلومات تجارية تختص بالإعلانات والحالة الصحية وتفاصيل أخرى مثل الحياة الشخصية التي يتم عرضها أو تسجيلها أو يتم عمل بروفيل لها أو يتم تشاركها أو بيعها، وكما يشير " روزن Rosen " أن الناس سعداء بالتعامل مع الإنترنت إلا أن كثيرا من هذه السعادة يتسم بعدم الوعي إذ أن الحواسيب تحفظ السجلات وطريقة عمل أنظمتها

تستطيع أن تبحث عن الناس وتفتش عن أنشطتهم على الانترنت ويعد ذلك مردودا يؤدى إلى زوال الخصوصية إلى جانب أن هناك برامج تعمل بشكل خفي على الانترنت وتستطيع فى سرية أن تسجل ما لدى الناس فى حواسبهم وتنقل المعلومات من خلال نسخها. (٢٨)

وعلى ذلك فتكنولوجيا الانترنت تزود بوسائل جاهزة للتطفل علىّ الخصوصية الإنسانية Human privacy ، وإن ذلك يجعل الناس يفكرون في بعض معايير الخصوصية من خلال التحكم في استخدام المعلومات والسلوك الشخصي من خلال الوسائل التكنولوجية والاجتماعية والتشريعية. (٢٩)

وإن الانترنت كما أثار تناقضا مؤداه (الاتصال / الانفصال) يثير أمرا آخر مؤداه أن استخدام الأسماء المستعارة وغياب الأسماء الحقيقية في إطار العالم السيبرنطيقى يزيل القيود ويوسع المشاركة في النشاطات إلا أنه من ناحية أخرى يمكن أن يستحضر أسوأ ما لدى الناس من سلوكيات. (٣٠)

٥- تبدل بينى:

يشير " باندورا" أن هناك العديد من الناس يتصلون بمكان عملهم بغض النظر عن المكان والزمان الموجودين بهما ، وهذا يعنى أن بيئة المنزل أصبحت بيئة منزلية وللعمل في آن (٣١)

ويبدو في ظل ملاحظة " باندورا" أن علم النفس البيئي في إطار هذا التحول في ظروف بيئة العمل والأسرة أن يوجه اهتمامه لخصائص بيئة الأسرة بعد أن تخللتها بيئة العمل من ناحية وأن يهتم بخصائص بيئة العمل بعد أن أصبح من الممكن إدارة العمل من المنزل من ناحية أخري.

الهوامش

1. Bandura, A. (2001). The changing face of psychology at the dawning of a globalization era. <u>Canadian Psychology, 42, 12-24.</u>
2. Bandura, 2001,Ibid, p1
3. Debowski, S., Wood,R.E.,&Bandura, A.(2000).Impact of guided mastery and enactive exploration on self-regulatory mechanism and knowledge construction through electronic inquiry. Submitted for publication.
4. Bandura, 2001,Ibid, p6
5. Bandura, 2001,Ibid, p6
6. Ryan & Connell (1989): perceived locus of causality and Internalization: Examining reasons for acting in two do mains. <u>Journal of personality and social psychology, 57,749-761".</u>
7. Bandura, 2001,Ibid, p7
8. Austin, J.H. (1978). Chase, chance, and creativity: The lucky art of novelty. New York:Columbia University Press.
9. Bandura, A. (1997). Self-efficacy: The exercise of control. New York: Freeman
10. Badura, 2001 , Ibid, p7
11. Bandura, 2001 , Ibid, p6

12. Bandura, A. (1997). Self-efficacy: The exercise of control. New York: Freeman

13. Bandura, 2001, Ibid, p7

14. Bandura, 2001, Ibid, p6

15. Diamond, M. C. (1988). Enriching Heredity. New York: The Free Press.& انظر Kolb, B., & Whishaw, I. Q. (1998). Brain plasticity and behavior. Annual Review of Psychology, 49, 43-64.

16. Bandura, A. (1986). Social foundations of thought and action: A social cognitive theory.Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.& انظر Bandura, A. (1999a). A social cognitive theory of personality. In L. Pervin & O. John (Eds.),Handbook of personality (2 nd ed., pp. 154-196). New York: Guilford Publications.

17. Bandura, 2001, Ibid, p5 .

18. Krantz, D. L. (1998). Taming change: Social science and everyday narratives. Psychological Inquiry, 9, 87-94.

19. Bandura, 2001, Ibid, p5

20. Bandura, 2001, Ibid, p5.

21. Hattiangadi, N., Medvec, V. H., & Gilovich, T. (1995). Failing to act: Regrets of Terman's geniuses. International Journal of Aging and Human Development, 40, 175-185.

22. Astin, H. S. (1984). The meaning of work in women's lives: A sociopsychological model of career

choice and work behavior. The Counseling Psychologist, 12, 117-126.

23. Ozer, E. M. (1995). The impact of childcare responsibility and self-efficacy on the psychological health of working mothers. Psychology of Women Quarterly, 19, 315-336.

24. Krantz, D. L. (1998). Taming change: Social science and everyday narratives. Psychological Inquiry, 9, 87-94. وانظر Bandura, A. (1998). Exploration of fortuitous determinants of life paths. Psychological Inquiry,9, 95-99.

25. Austin, J.H. (1978). Chase, chance, and creativity: The lucky art of novelty. New York: Columbia University Press.

26. Bandura, 2001, Ibid, p7:8.

27. Newhagen, J. E. (1994a). Self-efficacy and call-in political television show use. Communication Research, 21, 366- 379.

28. Rosen, J. (2000). The unwanted gaze: The destruction of privacy in America. New York:Random House.

29. Kiesler, S. (Ed). (1997). Culture of the Internet. Mahwah, NJ: Erlbaum

30. Froomkin, A. M. (1999). Legal issues in anonymity and pseudonymity. The Information Society,15, 113-127.

31. Bandura, 2001, Ibid, p 9

الفصل الثالث

تحولات في نسق
علم النفس في
عصر العولمة

الفصل الثالث

تحولات في نسق علم النفس في عصر العولمة

تمهيد:

غالبا ما يؤرخ لبداية علم النفس العلمى (التجريبى) بإنشاء فونت لأول معمل تجريبى لعلم النفس فى ألمانيا فى جامعة ليبزخ ١٨٧٩، ومن هذا التاريخ إلى عصرنا الحاضر شهد علم النفس فى كل حقبة زمنية تبدلات وتحولات غيرت من وجه علم النفس بدرجة كبيرة، وعلم النفس علم قائم في الأساس على الدراسة العلمية لسلوك الإنسان والحيوان ، إذا فهو علم ناتج من القريحة الذهنية للبشر عن البشر من خلال وسائل علمية دقيقة ومُكممة ، فهو من البشر وعنهم وإليهم ، فالإنسان في علم النفس مُدخل وعملية ومخرج في آن .

ولم تتوقف الحضارة الإنسانية عن إنتاج الأفكار والطروحات والأيديولوجيات وعلم النفس ليس بمعزل عن نماذج التفكير السائدة في حقبة زمنية معينة، فمثلا معاناة بعض اليهود في العهد النازي أفرزت أيديولوجيا تتحدث عن العداء للسامية وقد أثر ذلك في دراسة الشخصية

وخاصة في دراسات الاتجاهات التعصبية ، وطبقا لذلك فإن علم النفس ليس بمعزل عن الأيديولوجيا أو النموذج الفكري السائد في حقبة معينة أو حتى إذا كان سائدا لدى مجتمع أو جماعة معينة، وطبقا للتقعيد السابق فإن علم النفس كنسق علمي ليس منفصلا عن المرتكزات التي يقوم عليها عالم اليوم المُعولم.

وقد يظن القارئ رابطة سببية بين حقبة العولمة والتغيرات فى نسق علم النفس إلا أنه يجب هنا أن نوضح أن هناك تغيرات فى نسق علم النفس تأثرت بفعل مرتكزات العولمة وهناك بعض التغيرات فى نسق علم النفس تصادفت مع حقبة العولمة.

وفيما يلى يتناول هذا الفصل العناصر الآتية:

أولاً : نموذج التنظير النفسى .

ثانياً : الاقتياد البيولوجى والتطورى لعلم النفس .

ثالثاً : الدراسات عبر الثقافية فى عصر العولمة .

رابعاً : رؤى الصحة والمرض .

إن أي علم من الأدنى للأعلى يحتوى على أربعة أقسام رئيسه يتخلل كلّ منها الآخر ، أما الأول فهو الجانب الظاهر في العلم والمتمثل في بناءه المعلوماتي ، أما الثاني فيتعلق بالمنهج والاستراتيجيات التي يسير عليها ، وأما الشق الثالث فهو الهدف الذي يسعى إليه العلم ، والعلم في شقه الرابع " بامتّداده إلى فلسفة العلم " يختص بالنموذج الذي يبنى من خلاله النظريات المختلفة ، ومن الجدير بالذكر أن مجموع الأقسام الأربع السابقة تشكل نسق العلم وأي تغير في عنصر من عناصر النسق العلمي يؤدى إلى تغير نسق العلم كله ، وعلى ذلك فإن تغير النموذج الذي يبنى عليه التنظير يغير النظريات وبناء المعلومات وقد يغير طرائق أو استراتيجيات بحث كثير من الظواهر النفسية .

وإن علم النفس فى تاريخه غير الطويل قد خضع لتحولات فى النموذج الذى يبنى عليه التنظير النفسى ، فالكثير من التنظير النفسى المبكر قد اكتشف فى المبادىء السلوكية ، فقد قام هذا النموذج على أساس سيير نطيقى

مـؤداه نمـوذج " المُـدخل / المُخـرج " Output-Input Model ، ويصـل " المُـدخل / المُخـرج " سـوياً قنـاة داخليـة تجعـل السلوك ممكناً بعدم بذل تأثير من داخل الكائن الحى ، ويعنى ذلك أن السلوك قد تم تشكيله و التحكم فيه آلياً من خلال مثيرات البيئـة ، إلا أن هـذا الخـط التنظيـرى قـد انطفـأت موضته الآن بقدوم الحاسب الآلى . (١)

فمن البديهى أن طريقة عمل الحاسوب هى محاكاة للذهن البشرى و الغريب أن الحاسوب الذى هو محاكاة لذهنية البشر قد أفرز تفكيراً سيكولوجياً يفسر التصرفات البشرية بشكل حاسوبي ، فالحاسوب قد أفرز نموذجاً خطياً لتشغيل الذهن البشرى Linear Computational System Operating وذلك من خلال مشغل مركزى Central Processor وقد ملأ هذا المشغل القناة الداخلية – القائمة بين المدخل / المخرج – بالكثير من التمثيلات و العمليات الحاسوبية Represeutational & Computational Processes .

ويوضح " باندورا " طريقة عمل النماذج الحاسوبية ، بأن العمل أو التشغيل يبدأ من الأعضاء الحسية التى تسلم المعلومات للشبكات العصبية العاملة كالآلة العقلية ثم تقوم الشبكة العصبية بالتأسيس والتخطيط والتحفيز والتنظيم لاشعورياً ، وبالرغم من غباء هذا النظام إلا أنه أصبح أفضل معرفياً ، لكنه ما زال خالياً من الوعي والإحساس المعرفي بالقدرات ، ففي ظل النظام الخطى الحاسوبي يتم التشغيل من خلال أجزاء فرعية للشخصية أى بعض العمليات الداخلية التى تحقق التناغم بين المدخلات والمخرجات ، فالمستوى الغائب فى هذا النموذج يتمثل فى الوعى الظاهرى والاستخدام الفرضى للمعلومات وأدوات تنظيم الذات لإجراء أشياء مرغوب حدوثها (٢)

والواضح من رؤية " باندورا" السابقة أن الوعى بالقدرات والعمليات الذهنية محدد رئيسى يقف وراء التشفير فى نموذج التنظير النفسى ، فالوعى المعرفى بالعمليات والقدرات والإمكانات يمثل العامل الرئيس الذى يجمع شتات آلاف العمليات والتمثيلات الذهنية بحيث تتحقق الوحدة بعيداً

عن المنظور المجزء لكل عملية على حدي ، وقد أفرز التغير فى توجهات التنظير النفسى مداخل أكثر ميلاً للإنسانية والبحث عن المعنى والفرض والنية مما يحقق أفضل إدارة لأحداث الحياة وأنها جديرة بالعيش والحياة ، فبدون الوعى بالوظائف والعمليات الذهنية سيكون الناس بشكل كبير آلات ذاتية الحركة تتسم أفعالهم بالخلو من أى ذاتية وتوجيه تشاورى مع الذات Deliberative Self-guidance أو تأملية فى التواصل مع الذات Reactiveness–Reflective Self ، وعلى ذلك فامتلاك الإنسان لوعى ظاهر يحدد مدى إدراكه لقدراته وإمكاناته وما يصدر منه من سلوكيات فى إطار الزمان والمكان وهويته التى تحدد ما ينتمى لذاته وما لا ينتمى .

ثانياً : الاقتياد البيولوجى والتطورى لعلم النفس :

في سياق الحديث عن مكانة أي علم بين العلوم نجد أنفسنا أمام ترتيب معين سواء من الأعلى للأدنى أو من الأدنى للأعلى وربما يكون أساس التصنيف علوم خادمة وأخرى مخدومة ، وعلم النفس آخر العلوم انفصالاً عن الفلسفة

يعتبر من أخص العلوم فهو مخدوم من العلوم البيولوجية والعصبية والمعرفية والفسيولوجيا، فالسلوك الإنساني له أسسه البيولوجية والعصبية والفسيولوجية ، إلا أنه في الآونة الأخيرة وخاصة في حقبة العولمة قد حدث تطور هائل في العلوم العصبية والبيولوجية ، وأصبح هناك توجه لمحاولة تفسير السلوك والتنبؤ به طبقاً للأسس العصبية والبيولوجية مباشرة دونما الاعتداد بنظريات علم النفس .

وطبقاً لما سبق يشير " باندورا" إلي أنه يوجد نمو غير هين بشأن الحرمان التصاعدي لجوانب مختلفة من علم النفس إلى البيولوجيا وبعض العلوم المعرفية ، فالمحددات البيولوجية للسلوك البشرى أصبحت معلنة على نطاق واسع والديناميات النفس الاجتماعية أصبحت منخفضة المنزلة مقارنة بالديناميات البيولوجية والعصبية ، فإن ما يخشى منه أن نهب الكثير والكثير من علم النفس للأنساق الدنيا فى السلسلة الغذائية" العلوم البيولوجية- العصبية باعتبارهم يهتمون بأجزاء محددة جدا في الشخصية" ، وهنا لن يكون هناك نواه لبقاء أى نظام نفسى ، فهذا التشتت والتشظى

والانغماس فى العلوم العصبية ربما يصبح مصير علم النفس كنسق علمى مستقل فيما أسميه " بالاختزالية البيولوجية " Biological Reductionism(٣)

وهناك من يتفق مع اتجاه تآكل علم النفس لصالح العلوم البيولوجية والعصبية من خلال ربطه بعلوم أخرى كأن يصبح علم النفس نوله لبرامج أو أنساق علمية متشاركة، كأن يشترك أو يرتبط بعلم الحيوان والبيولوجيا وعلوم الأعصاب والفسيولوجيا ، وهنا يؤكد " كيسلر " Kiesler أن ارتباط علم النفس بأنساق علمية أخرى من الممكن أن يجعل علم النفس منقسماً ومتبدداً بواسطة تنازع نسقى متداخل وقوى متصارعة وبالأحرى حقائق مفاهيمية ملحة . (٤)

وهناك اتجاه أخر يرى أن علم النفس ليس معرضاً للفقد والتآكل لصالح العلوم البيولوجية والعصبية ، فعلم النفس بحق يستطيع بشكل كبير أن يلعب دوراً معقداً ليجمع شتات العوامل الشخصية والبيولوجية والمحددات

الاجتماعية الثقافية باعتباره النسق المناسب والأمثل والأكثر ملائمة لفهم متقدم لتكامل الطبيعة البشرية النفس اجتماعية البيولوجية ، وهو يمكننا من فهم كيف يدير ويشكل البشر العالم اليومى من حولهم ، وعلى ذلك فمن الغريب التعامل مع علم النفس كنظام متكامل يتعامل مع كل أفعال الشخص والبيئات المحيطة كنظام مُجزء .

ويقدم " باندورا" عدة انتقادات للاتجاه الذى ينادى بالاختزالية البيولوجية أو تآكل علم النفس لصالح العلوم البيولوجية والعصبية تتضح كما يلى :

١ - أن النشاطات العقلية وإن كانت نشاطات للمخ إلا أنه ليس هناك دليل قوى فى الفيزياء العصبية يؤكد اختزالية علم النفس للبيولوجيا ففى الواقع البرمجيات النفس اجتماعية Psychosocial Software ليست اختزال للبرمجيات البيولوجية Biological Hardware فكلاهما محكوم بواسطة قواعد لها مبادئها الخاصة والتى يجب أن تدرس بشكل قائم بحد ذاته .

٢ - أن علـم الـنفس مهـتم بشـكل كبيـر باكتشـاف المبـادىء عـن كيفيـة تصـميم البيئـات لإحـداث تغيـرات سيكولوجية ، وهذا الأمر يجعل التحكم فى البشر يأتي من خـارجهم لـذا فالنظريـات النفسـية ليسـت صـنوا للنظريـة البيولوجية العصبية Neurobiological Theory ، فعلى سبيل المثال المعرفة بمواقع المخ ودوائر الدماغ الكهربائية تخدم التعلم جزئياً إلا أنـه من خـلال علم الـنفس نستطيع أن نمـد النـاس بالإثـارة لكـى يصـلوا للإستيعاب مـن خـلال تـدريبهم علـي تنظيم وتشغيل المعلومـات وايضـاً من خـلال التدريب على التعـاون والاسـتقلالية والمنافسـة ، فالمسـتوى العصـبي والبيولوجى يمدنا بمعلومـات قليلـة عن كيفيـة تطوير فعاليـة الآبـاء والمعلمـين والمـديرين والمصـلحين الاجتمـاعيين لإحداث نتائج نفسية واجتماعية مرغوبة . (٥)

والمشـكلة الحقيقيـة ليسـت فـي مجـرد الاكتشـاف أو السـعي نحـو الأسـس البيولوجيـة والعصـبية للسـلوك وإنمـا تكمـن فـي أن الاقتيـاد البيولـوجي لعلـم الـنفس Biolgizing of Psychology يخلـق اتجاهـاً لـدى الكثيـر مـن علمـاء الـنفس

التطوريين مؤداه التحمس للاقتياد الجينى لعلم النفس خاصة فى ضوء تطور الهندسة الوراثية ربما أكثر من البيولوجيين التطوريين .(٦)

وتصديقاً لذلك نجد الكتابات التي تتحدث عن الأساس الجينى للسلوك والقدرات العقلية فنجد " مات ريدلى " يتحدث عن جين الذكاء رقم "٦" وأنه قد أجريت دراسات كلينيكية أوضحت أن الجين رقم "٦" يختلف فى تتابعه لدى الأطفال المتفوقين دراسياً بشكل ملحوظ عنه لدى الأطفال العاديين ، وهذا يعنى أن الذكاء فى حد ذاته متأثر بالوراثة ويمكن التحكم فى الذكاء من خلال التحكم الجينى(٧)

وإن الاتجاه السابق في علم النفس يثير أزمة قديمة – وما يثيرها إلا التقدم الهائل في الهندسة الوراثية – فمثلاً نجد " جولد Gould " يرى أن المعركة الرئيسية ليست بين الطبيعة والتربية وإنما هل الطبيعة أو الوراثة يتم معالجتها كما لو كانت هي المحددة للسلوكيات والتصرفات والقدرات وقد أشار إلى أن ثقافة البيولوجيا يصعب الإمساك بها أو بمعنى

آخر هي ثقافة متطورة بشكل مذهل وما تمد به من أساس اجتماعي فقير جداً . (٨) ، بينما يعارض " ويلسون Wilson " رأى "جولد " ويشير إلى أن البيولوجيا لها ثقافة يسهل الإمساك بها فالمحددات البيولوجية تؤكد على دور الطبيعة (الوراثة) ، فالإمكانيات البيولوجية تعطى الوزن الاكبر لقاعدة الفرص المتاحة والامتياز والقوة ، ويتفق (دوبوزنسكى Dobzhansky) مع (ويلسون) حينما يشير إلى أن الأجناس البشرية قد تم انتقائها من أجل القدرة على التعلم ومرونة السلوك التكيفى ، وإن التغير الاجتماعي المتسارع جداً يؤكد أن الهندسة الوراثية تعد بإمكانات يمكن إحداثها في البشر من أجل طاقات أفضل وبالتالي صنع مستقبل أفضل (٩)

ومما سبق يتضح أنه فى ظل تقدم البيولوجيا والاقتياد البيولوجى لعلم النفس ظهر ميل بعض السيكولوجيين إلى الاتجاه البيولوجى فى علم النفس ، إلا أن هذا الإتجاه ينتقده بشدة العديد من علماء النفس وحتى رواد السيبرنطيقا النفسية والإجتماعية ، فنجد مثلاً " باندورا ٢٠٠١ " يوجه

عـدة انتقـادات لهـذا الاتجـاه مـن خـلال النظريـة المعرفيـة الاجتماعية كالآتى :

١ - يـرى (بانـدورا) أن النظريـة المعرفيـة الاجتماعيـة تسـلم بالـدور المـؤثر الـذى تلعبـه الأصـول البيولوجية ولكنها ترفض المنظور البيولوجى التطورى كأن يكون أساساً وحيداً لتشكيل السلوك الإنسانى .

٢ - أن الأسـاس البيولـوجى مـن الممكـن أن يخـدم أغراضا متنوعة فى النسق العلمى لعلم النفس إلا أن الأصل السـلالى أو العرقـى لا يثبـت وظيفـة اجتماعيـة حاليـة ولا ترتيـب اجتمـاعى متفـرد ، فالأشـخاص المتسـمين بـالطول لـديهم الإمكانيـة ليصـبحوا نـاجحين كلاعبى كرة سلة ولكن وجـود الطـول لا يحـتم سـعى الشـخص ليلعـب كـرة السـلة ، ويضـيف " بانـدورا " إننـي اشـك جدياً أن الخريطـة الجينيـة للنـازيين الألمـان الـذين قـاموا ببربريـة غيـر مسـبوقة تختلـف عن الخريطة الجينية للسويسريين المسالمين الذين مكثوا فـى المعـتقلات الالمانيـة ، فالنـاس لـديهم الإمكانيـة البيولوجيـة

للعدوان ولكن الإجابة على الاختلاف الثقافى فى العدوانية يختلف كثيراً من أيديولوجيا لأخرى .

٣ - يشير (باندورا) إلى أن تحول المجتمعات المتحاربة فى الحرب العالمية الثانية إلى مجتمعات مسالمة يؤكد قوة التطبع على قوة الطبع Nurture over Nuture (١٠)

ثالثاً : الدراسات عبر الثقافية فى عصر العولمة:

تنتمى الدراسات عبر الثقافية إلى ما يسمى " المنهج المقارن " ، وكما يشير " فؤاد أبو حطب – آمال صادق ١٩٩٦ " أن الانثروبولوجيا هى أولى العلوم الإجتماعية التى احتلت فيها المقارنات الثقافية مكانة بارزة على يد " تايلور " وقد تطلب وضوح معالم هذه المناهج خمسين عاماً ، وخاصة خلال الثلاثينيات من القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية وذلك من أجل الرغبة فى معرفة خصائص المستعمرات ، وتتلخص الدراسات عبر الثقافية فى عدة نقاط:

١ - وجود **اختلاف وتغاير** في الظواهر موضع الدراسة ، مما يعني وجود عموميات ثقافية Universals تسمح بوجود التشابه أو قدراً من التعادل الثقافي Equivalences أو التطابق في أبعاد تؤكده ، ووجود التغاير يعني أن الظواهر مختلفة ، مع تشابه الأبنية الثقافية.

٢- لكي يطمئن الباحث **للتطابق الثقافي يلجأ لإستراتيجيتين** :

١- **استراتيجية العموميات الثقافية** : حيث يلجأ الباحثون إلى:

أ - **قوائم الحاجات الأولية** في علم النفس والأحياء.

ب - **قوائم المكونات الثقافية المشتركة** التي يقدمها علم الأنثروبولوجيا (اللغة – الأسطورة) .

ت - **مجموعة المتطلبات الوظيفية** اللازمة للحياة مثل التطبيع الاجتماعي والتنظيم المعياري للسلوك .

٢ - **استراتيجية المعادلات الثقافية :** وتتطلب البرهان الامبريقي على وجه التكافؤ بين البيانات الخاصة بالعينات

الثقافية موضع البحث وهو برهان ليس سهل ، وهناك ثلاثة أنواع **للمعادلات الثقافية :**

١ - **المعادل الوظيفى** : ويتحقق بملاحظة سلوكين فى ثقافتين مختلفتين ويجد الباحث تشابه فى وظائف المواقف.

٢ - **المعادل المعرفى :** ويشير إلى تشابه المعانى المستخدمة فى البحث (المثيرات – المفاهيم) للعناصر داخل أنساقها الثقافية ، ويشمل ذلك استخدام الترجمة من وإلى الثقافات موضع المقارنة ، ويستخدم المعادل المعرفى أيضاً أسلوب التمايز السيمانتى لتحديد معانى المفاهيم فى الثقافات المختلفة ، وأسلوب التحليل اللغوى الذى يسعي لاكتشاف مدى الاختلاف أو عدم التكافؤ بين المفاهيم فى البنى الثقافية موضع المقارنة .

٣ - **التكافؤ القياسى :** ويشير هذا المعادل إلى بحث مدى التطابق بين مجموعتين ثقافيتين فى الخصائص التى يتم قياسها ويتطلب ذلك وجود علاقة إحصائية مستقرة بين

المتغيرات المستقلة والتابعة ، ويتطلب أيضاً تماثل العلاقة الإحصائية بين المتغيرات التابعة . (١١)

وإن بنية الدراسات عبر الثقافية وداخل الثقافية تبعا للعناصر السابقة كانت تقوم على مقارنة بين ظواهر يتحقق لها تشابه واختلاف بين ثقافتين أو أكثر، وفى ظل العولمة وزوال الحدود التقليدية وانتشار البث الإعلامى واسع النطاق بما يغطى كل أجزاء القرية الكونية نجد أن معالم الدراسات عبر الثقافية ستتعرض للتغيير بشكل كبير ، ولا يقتصر الأمر على الدراسات عبر الثقافية وإنما يحتاج الأمر لمناقشة الدراسات داخل الثقافة الواحدة، فمثلا حينما يتم دراسة سلوكين داخل مجتمع واحد فى إطار ثقافتين فرعيتين سنجد أن هناك **إشكاليات كثيرة منها:**

١) صعوبة حصر مصادر التأثير :

أنه إذا كنا نسعى للبحث عن التطابق والاختلاف سنجد هناك صعوبة فى حصر معلمات أو معادلات ثقافية تحقق

التطابق باعتبار أن خصائص الثقافات الفرعية المحلية لم تعد عوامل التأثير والتأثر بداخلها خاضعة للثقافة الاجتماعية العامة على مستوى مجتمعها بشكل رئيسى وبالتالى قد يصعب حصر عوامل التطابق والاختلاف داخل ثقافة مجتمع معين أو من ثقافة لأخرى.

٢) بين التشظى والتطابق غير المُحددين:

إن الاستجابة لمرتكزات العولمة غير محسومة وليس بها قول فصل في إطار نتائج الدراسات المختلفة، فمثلا هناك من يشير إلى أن الاتصال عن طريق الانترنت حقق اتصالا وانفصالا في آن، فقد اتصل أفراد ببعضهم في إطار ثقافات مختلفة من خلالَه ، إلا أنهم أثناء هذا الاتصال أنفقوا وقتا طويلا بعيدا عن السياق الاجتماعي الفعلى فقد تعلقوا وأحبوا وكرهوا وتشاجروا في بيئة رمزية وتأثر جهازهم العصبى بذلك وهناك من أدمن الدردشة والجلوس أمام الحاسوب ،

وهناك من يرى أن العولمة ستؤدى إلى توحيد العادات والأنماط السلوكية على مستوى العالم بما يخلق درجة من التشابه أو التطابق على مستوى القرية الكونية ولكن على حساب التشظى للثقافات الوطنية أو الخاصة بكل مجتمع، فالأفراد الذين يستخدمون الانترنت للاتصال تتقلص وقد تضمحل علاقاتهم بأفراد أسرهم ويضيق نطاق تواصلهم مع الآخرين من حولهم بشكل كبير لحساب التعلم الاجتماعى الحادث في نطاق يصعب فيه تحديد حجم التشظى على مستوى ثقافة ما بثقافاتها الفرعية أوحجم التطابق الحادث بين الثقافات الفرعية. (١٢)

٣) مستويات الثقافة:

إذا جاز أن نصنف الثقافة من الممكن أن نشير لثقافة وطنية وأخرى قومية و عالمية ، وفى إطار الثقافة الواحدة هناك الثقافات الفرعية ، ويبدو أنه في ظل العولمة قد تغير

المنظور فقد أصبحت ثقافة مجتمع كامل (مثلا الثقافة المصرية أو السعودية ... إلخ) ثقافة فرعية ضمن ثقافة القرية الكونية ، والغريب أنه في نفس السياق من الممكن لجماعة داخل مجتمع ما أن تصبح ثقافة فرعية في إطار الثقافة الكونية بموازاة الثقافة الأم في مجتمعها ، والإشكالية هنا تتعلق بحساب المعادلات الوظيفية والمعرفية والقياسية المتصلة بالظواهر السلوكية موضع البحث الثقافى المقارن، فمعلمات الثقافة لجماعة فرعية داخل مجتمع ما أصبحت تظهر على المستوى الكوني بشكل موازى للثقافة المجتمعية والتي من المفترض أن تكون الثقافة الأم ، وغالبا ما يظهر ذلك في الجماعات الإثنية والجماعات التي تتبنى توجهات مناهضة للثقافة الأم التى توجد بها، والإشكالية التى تقف فى وجه الدراسات عبر الثقافية فى ظل القرية الكونية تتجلى بشكل واضح فى إطار اتباع الباحث فى هذا النمط من

البحوث لاستراتيجية العموميات الثقافية، فإذا أراد الباحث حساب أو حصر قوائم الحاجات الأولية مثلا داخل ثقافتين ما من أجل المقارنة بين ظاهرتين سلوكيتين سيجد أنه مهما قام بحصر هذه الحاجات يجب أن يضع فى اعتباره سرعة التغير الكبيرة جدا الذي يمكن أن يحدث فى ظل انكسار البعد الزمكانى فى التواصل الانسانى عبر القرية الكونية والحادث بسبب التقدم التقني المعلوماتي، مما يعنى أن الحاجات الأولية التى يحصرها بحث اليوم قد تتغير بعد فترة زمنية وجيزة جدا بفعل الاحتكاك الثقافى بين الثقافات المختلفة على مستوى القرية الكونية.

ويؤكد "باندروا" التحليلات السابقة فيشير إلى " أن **الحياة فى العالم السيبرنطيقى تتطلب" :**

١) تغيرات رئيسية لدراسة التأثيرات الثقافية على التغير والتكيف الانسانى باعتبار أن الثقافات لم تعد منعزلة أو منفصلة عن بعضها.

٢) أن التعاملات تعتمد على التبادل والاتصال الداخلي من ناحية والسوق العالمية التي أصبحت مسئولة بشكل رئيسي عن بناء الاقتصاديات القومية وتشكل الحياة السياسية والاجتماعية لأي مجتمع من ناحية أخرى.

٣) أن تكنولوجيات الاتصال عن بعد تنقل الأفكار والقيم وأنماط السلوك متخطى القوميات بمعدل لم يسبق له مثيل ، فالبيئة الرمزية المتغذية بالأقمار الصناعية تغيز الثقافات القومية وتحدث تماثل في الوعي الجمعي collective consciousness باعتبار أن وسائل الإعلام تغير المشاهد الثقافية.

٤) أنه نظرا للتفاعل بين القوى الاجتماعية العاملة داخل المجتمع أو التوجهات القومية National orientations من ناحية والقوى العالمية global forces من ناحية أخرى يجب أن يكون هناك محاولة لتوسيع أفق التحليل عبر الثقافى

وضـرورة Broadening the scope of cross- cultural Analyses ، توسـيع أفـق التحليـل عبـر الثقـافى تتبـع مـن تنـامى المجتمعـات متعـددة الأعـراق وزيـادة مزدوجـى الفعاليـة الثقافية bicultural Efficacy ومدى إمكانية حساب مصالح أحد العرقيات الثقافية من ناحية ومكاسب المجتمع الأوسع من ناحية أخرى. (١٣)

رابعا: الصحة والمرض النفسى

نجد فى سياق الحديث عن الصحة والمرض أننا بإزاء عدة قضايا منها:

أ- النموذج الذى يدعمه علماء النفس:

كثيرا ما يمعن علماء النفس فى تحليل الفشل اكثر من النجاح، ويرتبط ذلك بأن ما يلفت انتباههم بدرجة كبيرة عوامل المخاطرة Risk factors أكثر من عوامل المقدرة Enablement Factors والتي تختص بتزويد الناس بالمهارات

ومعتقدات حول مرونتهم الذاتية للسعي للتحكم في حياتهم من خلال إثرائهم بالمصادر الشخصية Personal Resources.(١٤)

وقد فحصت الدراسات المسارات النمائية للأطفال المحتكين بمعيشة منزلية مضطربة جدا، حيث نشأوا في أسر معذبة بفقر مزمن خلاف الإساءة الجسدية Physical Abuse والطلاق وإدمان الوالدين للكحوليات أو بعض الاضطرابات العقلية الحقيقة التي يعانون منها، ومع ذلك فقد تغلب عدد كبير من الأطفال على مثل هذه الصعوبات البالغة وحولوا هذه الظروف إلى فعاليات نجاح لهم، وما يساعد الأطفال على التغلب على هذه الصعوبات عوامل المقدرة التي تتمثل في:

١- ما نحو الرعاية:

فالراشدون من أمثال المعلمين والآباء كمانحين للرعاية يعرضون دعما وتوجيها انفعاليا ويسعون لبث قيم ومعايير

ذات معنى وينمذجون أنماط بناءة للتعامل والتحكم فى الخبرات وبالتالى ينمو عند الأطفال عزوا اجتماعيا إيجابيا positive attributes وبالتالى يرتبط الأفراد بشكل إيجابي بالآخرين، والمعلمون كمانحين للرعاية حينما يستطيعون التأثير فى حياة الأطفال يدعمون قدرة الأطفال على تحمل الصعاب والمحن القاسية، فالتواصل الاجتماعى بالعديد من الأشخاص المهتمين خارج الأسرة يمد بالتوجيه المستمر وفرص الإنماء الذاتى حتى فى ظل ظروف قاسية. (١٥)

٢- غرس الإحساس المعرفي الإيجابي:

فغالبا ما يلجأ الآباء والمعلمين لاستخدام فنية إلقاء القصص البطولية لدعم الإحساس المعرفي الإيجابي بدلا من التحذيرات التي تحمل معنى وقائيا، فالطفل حينما يخبر معنى إيجابيا تحمله له القصص البطولية التي تمثل نماذج يتلقاها من الكبار يشعر بإحساس الفعالية الذاتية، وكما يشير

" باندورا" "إن عوامل المقدرة والكفاءة يتم صياغتها في مصطلحات معرفية إيجابية بدلا من الاهتمامات التقليدية لعلماء النفس والتي كانت تركز على مصطلحات الحماية من العدوى من التأثيرات السلبية للمحن". (١٦)

ويبدو أن أهمية غرس الإحساس المعرفي الانسانى الايجابي تنبع من مخاوف في عصر العولمة من أن الاقتصاد الرأسمالي سيصل للتوحش مما يعنى أن هناك مساحات واسعة من البشر ستنزل تحت خط الفقر بشكل كبير وأن هناك قلة من البشر على مستوى القرية الكونية ستتمتع بمستوى مرتفع جدا من الثروة والنفوذ والاستغلال وهنا يبرز دور الإحساس المعرفي الإنساني الايجابي ليعين أو يساعد المستويات الفقيرة من خلال محاولة بناء الفعالية الذاتية لديهم مما يؤدي إلي استدعاء الأحاسيس الإيجابية،

وغالبا ما يتم نقل هذا الإحساس المعرفي الإيجابي من خلال النمذجة والمشغلات العقلية بأنواعها المختلفة.

ب - التنبؤ المفرط لعلم السيكوباثولوجى Over prediction of psychopathology

تبعا للنموذج الذي يتبناه العالم يتحدد توجهه أو رؤيته للسواء والمرض، فعلماء النفس يدعمون **نموذج المخاطرة التفاعلية** risk Reactive model أكثر من **نموذج التحكم الإيجابي الفعال** proactive mastery model، فعلى سبيل المثال هناك أطفال داخل مدينة ما يعيشون في بيئات فقيرة وعشوائية ولا يوجد خدمات إنسانية ملائمة ولا تمدهم هذه البيئات إلا بالقليل من **الفرص الاجتماعية الايجابية** Prosocail Opportunities وإنما تمد بكثير من السلوك المضاد للمجتمع، ونظريات علم النفس في هذا السياق تتوقع لهؤلاء الأطفال الذين يعيشون في هذه البيئات الخطرة والمقفرة أنهم سينغمسون في الجريمة بقوة أو أنهم سيكونون عرضة لإدمان المخدرات أو الضعف

النفسي في الحياة الضبيعية، **إلا أن ما يكسر هذه النظرة المتشائمة لأنصار نموذج المخاطرة التفاعلية:**

١) أن الكثير من السلوكيات السابقة غالبا ما يقع فيها الأطفال بالمصادفة عبر مراحل النمو، وفى البلوغ مثلا نجد أن معظم الأشخاص يدعمون أنفسهم من خلال وظائف مشروعة ومن المشاركات في أنشطة محيطهم الاجتماعي ويظلون بعيدين عن الأنشطة الإجرامية، وغالبا ما تنجز الأسرة في هذه البيئات نتائج ايجابية مع أبناءهم عبر التضحية بالذات وبالجهد المتسم بالمثابرة من أجل التحكم في نمو الأطفال بحمايتهم من أنشطة الجوار السكنى. (١٧)

٢) غالبا ما يلجأ الآباء لتشكيل تجمعات ثانوية في مناطق سكنهم، وغالبا ما تتشكل هذه المجتمعات الثانوية عبر اندماج نشط في دور العبادة والمنظمات الاجتماعية

الأخـرى، وهـذه التجمعـات تـربط أبنـاءهم بنمـاذج إيجابيـة ونشـاطات بنـاءة وشـبكات تـدعيم اجتمـاعي Supportive social Networks وقـيم ومعـايير اجتماعيـة يقررهـا الآبـاء، وتعـادل هـذه الـروابط الاجتماعيـة مصـادر الجوار السـكنى السيئة لأنهـا تـدرب الأبنـاء على إحساس الفعالية Sense of efficacy فالآبـاء لا يدعون بيئتهم الرديئة تهزمهم. (١٨)

* إشكاليات في العالم النامي:

إلا أنـه فـى سـعى الآبـاء والأسـر لـربط أبنـاءهم بشـبكات تـدعيم اجتمـاعي لكـي تكـون هـذه الشـبكات بمثابـة البيئـات الحقيقيـة التـي تغـرس القيم المرغوبـة بـدلا مـن البيئـة السيئة نجدهم يواجهون فـي حقبـة العولمـة بإشكاليات (خاصـة فـي بلداننا النامية) منها:

١- أن التقدم الرقمي المذهل في وسائل الاتصال والتسلية والترفيه يمثل وسيلة جاذبة بشكل غير عادى للمراهقين والشباب، والخطورة في الأمر أنها وسائل لا تخضع للرقابة والسيطرة مما يعنى أن ما قد تبنيه هذه الشبكات الاجتماعية قد تهدمه بشكل كبير الشبكات الرقمية.

٢- أن حرية قيام التجمعات غير الرسمية في المجتمعات النامية (وهى غالبا ليست مجتمعات ديمقراطية) ليست بيسر وسهولة إقامتها في مجتمعات العالم المتقدم، إلى جانب أن أغلب مجتمعات العالم النامي ينشغل أفرادها بالوسائل التي تؤمن على أحسن الأحوال قضاء أو توفير الحاجات الأساسية مما يعنى أن فرصة الاهتمام بشبكات التدعيم الاجتماعي التي تيسر بث القيم الصالحة للأبناء ترف ليس سهل المنال.

٣- ويبدو أن الإشكالية الثالثة التي لم ينتبه إليها " باندورا" في مقاله عن "تغير وجه علم النفس في عصر العولمة" أن معظم الدراسات التي أجريت على مستخدمي الانترنت، (وهو مرتكز أساسي للعولمة)، قد أشارت لإصابتهم بالقلق والتوتر والاكتئاب. (١٩) ،وهذا يّعنى أن علم النفس في عصر العولمة مطالب بإشكالية جديدة متمثلة في ضرورة دراسة تأثير البيئة الحاسوبية والتي هي في الأساس بيئة رمزية وأثرها على الشخصية والمرض النفسي، فإذا كان "باندورا" يتحدث عن بناء شبكات اجتماعية للتدعيم الاجتماعي في إطار الحي السكنى فإن ذلك يحتاج للمراجعة على مستوى القرية الكونية فالقضية هنا لم تعد في المساحة الجغرافية الضيقة للجوار السكنى وإنما أصبحت

القضية في المساحة الممتدة غير معروفة الحدود من كم المخاطرة التفاعلية عبر الشبكات الرقمية.

ونجد أن "باندورا" يؤكد على دور الفعالية الشخصية والتدريب عليها كوسيلة فعالة إلى جانب شبكات التدعيم الاجتماعي المفيدة وهو يقول في ذلك" في الواقع الناس ببساطة لا يتحملون ما يحدث من نشاط في بيئاتهم مؤثرا على فطرتهم الشخصية، فمن خلال التدريب على تنظيم الذات يمتلك الناس القدرة علي التأثير في البيئات التي يعيشون فيها ويسعون أيضا إلى إيجاد بيئات مدعمه لهم بالبحث عن شبكات اجتماعية مفيدة." (٢٠)، ورؤية "باندورا" السابقة بالفعل هي رؤية جشطلتية إذ ترى فعالية الذات مع فعالية المؤسسات، ولكن هنا تبرز إشكالية أننا في العالم النامي نجد أن برامج التربية في الأسرة والمدرسة غالبا لا تسعى على أساس سيكولوجي لإنماء الفعالية الذاتية

فغالبا في ظل المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتدني (في الأغلب الأعم) يصبح الحديث عن المهارة والبناء النفسي السوي والمشاعر نوعا من الترف والبعد عن الواقع.

ت- فشل تشاؤمية التنبؤ المفرط بالمرض:

من الملاحظ كما أشير سابقا أن التنبؤ المفرط لعلم السيكوباثولوجي يتحدد بإهمال تحليل النجاح والإمعان في تحليل الفشل كنتيجة للتمسك بنموذج المخاطرة التفاعلية في مقابل إهمال نموذج التحكم الايجابي، ويبدو أن الإمعان في تحليل الفشل والذي تتوجه إليه نظريات علم السيكوباثولوجي يلاقي كثيرا من الملاحظات في الأخير قد تؤدى إلى دحض الإفراط في توجه التنبؤ المفرط بالمرض.

و يشير "بايسكي وآخرون Piascki et al " إلى أنه " بسبب انتقاء الإهمال للنجاحات فإن نظريات علم النفس تتشابه في التنبؤ المفرط بعدم القدرة على التغلب على المشكلات

الصعبة مثل التغلب على إدمان المواد المخدرة، فنحن بنينا نظرياتنا النفسية لكي تجيب عن لماذا نجد الناس ضعفاء في تغيير سلوك الإدمان باعتباره معروفا بصعوبته واقترانه باعتمادية نفسية وكيميائية حيوية، فعلي سبيل المثال كل نَفَس يرسل النيكوتين القوى المتجه للمخ، والاستعمال أو التدخين المستمر لفترة طويلة يؤدى للإصابة بالانتكاسة المخية، ويبدو أن التحدي الواضح أمام المدمن يتمثل في معاودة تناول المخدرات كرد فعل لانتكاسة بيولوجية تخدم كدافع لاستمرار إساءة استعمال العقاقير، بينما ميكانيزمات البيئة تحدد بشكل كبير إمكانية قيادة هذه الدافعية، ويفترض توجه التنبؤ المفرط بالمرض في علم السيكوباثولوجى أن هناك دافعية تجعل الشخص يحاول من خلال الفضول أن يسعى لاكتشاف المواد المخدرة بل

والمزاجية السالبة تطرح افتراضا مؤداه أنها تجعل الشخص يسعى للترويح من خلال المخدرات. (٢١)

وما يدل على أن التوجه نحو المرض (الذي هو بالأساس نزوع من بعض علماء النفس لتحليل الفشل أكثر من النجاح) له ما يدحضه (في ضوء نموذج التحكم الايجابي) يتّضح من الأمثلة الآتية:

١] التغلب على التدخين:

فمثلا أكثر من ٤٠ مليون من سكان الولايات المتحدة قد أوقفوا التدخين بإرادتهم، ولكن التساؤل أين وصل هؤلاء في أمراض المخ؟ ، وكيف يمكن لمدخن أن يُشفى بإرادته؟ ، ويبدو أن هذا المثال يوضح أن إرادة الشخص تحدد بشكل رئيس إمكانية تحكمه في عاداته السيئة حتى لو كانت هذه العادة مرتبطة بتأثيرات كيميائية وحيوية، أما الطرح المتعلق بالمزاج السالب وأنه محدد يقف وراء التدخين فربما

يدحض هذا الطرح القول بأن ٤٠ مليون السابقين المتوقفين عن التدخين لا يعيشون حياة خالية من المزاجية السالبة فهم يمرون بظروف مزاجية سالبة ومع ذلك فهم يجاهدون لكي يظلوا ممسكين عن التدخين، ويبدو هنا أن الدوافع الواضحة تقف وراء تنظيم الذات الذي قد يُؤدى إلى إدارة ناجحة للذات في ظل محرضات موقفية معينة على العودة للتدخين مرة أخرى، ويبدو أن المزاجية السالبة تؤثر على العودة للتدخين ولكن لدى منخفض الفعالية الذاتية أما مرتفعو فعالية الذات فهم أقل تأثرا بالمزاجية السالبة كمحرض للعودة للتدخين. (٢٢)

٢) التغلب على إدمان الهيروين:

وفى سياق دعم نموذج التحكم الإيجابي نجد " روبنز Robins" يشير إلى أن كثيرا من محاربي فيتنام بعد إدمانهم للهيروين بدون اللجوء للعلاج قد هزموا هذا الإدمان من

خلال التواصل مع أصدقائهم، وهذا التواصل مع الأصدقاء كان يعنى أنهم قد قاموا ببناء حياة جديدة لأنفسهم في إطار شبكات اجتماعية ببديل يعطيهم المعنى Meaningful alternative social Networks الذي فقدوه بعد تعرضهم لعصاب الحرب في فيتنام.(٢٣)

٣] التغلب على الكحوليات:

ويدعم " فيلنت Vaillant" نموذج التحكم الإيجابي من خلال توضيحه أن نسبة كبيرة من السكيرين تخلت أخيرا عن شرب الخمور بدون علاج، أو حتى مساعدة من جماعات المساعدة الذاتية أو تغيير بيئي جذري ومثل هذا النجاح إثباتا للقدرة الإنسانية على تنظيم الذات. (٢٤)

ويبدو وراء التغافل الكبير للناجحين في التغيير الذاتي كمن يقف أمامه فيل ولا يراه أو " الفيل الذي لا يراه أحد " ، وإن ضخامة الفيل أو القدرة على تغيير الذات يمكن أن

تخبرنا عن ميكانيزمات ناجحة لتغيير الذات بشكل مثمر وكيف يكون الناس قادرين على التغلب على ما يحيطهم من أحداث حياتية سالبة أو التحول من حالة غير مرغوبة إلى حالة أخرى مرغوبة. (٢٥)

والفهم الكامل لميكانيزمات تنظيم الذات يتطلب فحصا كاملا للأشخاص الذين نجحوا فى تغيير ذواتهم، حيث توضح معظم الدراسات أن الأشخاص مرتفعو تنظيم الذات يتسمون بالقدرة على تطويع المكونات أو القدرات الفرعية لشخصياتهم، وبشكل أكثر توضيحا أن هؤلاء الأشخاص دائمو المسح لذواتهم واستغلال كل قدراتهم إما لإنماء أو تعديل الذات. (٢٦)

رابعا: التوجه للتقعيد الاجتماعي الايجابي **Prosocial foundation**

انشغل كثير من المنظرين بتأثير العدوان على النمو الأكاديمي والعلاقات البينشخصية وقد وجد هؤلاء المنظرين

أن الحل الأمثل لتقليل العدوانية لديهم يتمثل في بناء ظروف اجتماعية مغايرة، إلا أن هناك من علماء النفس من أخذ توجه التقعيد الاجتماعي الايجابي أو النزوع للاجتماعية الإيجابية Prosocialness في التنظير والبحث، **وتتجلى نزعة الاجتماعية الايجابية في:**

١ـ الميل للتعاونية Cooperativeness

٢ـ الميل للمساعدة Helpfulness

٣ـ الميل للتفهم Emathicness

وعلى ذلك فالتوجه الاجتماعي الإيجابي يمكن أن يكبح العدوان سواء المباشر أو المصحوب بمعاقبة الذات Self-sanctions لتهذيب ضرره، وبرغم الفوائد الكامنة في نزعة الاجتماعية الايجابية إلا أن هذه النزعة لم تلاقى الاهتمام المناسب فيما يتعلق بتأثيرها في مسارات نمو الأطفال.(٢٧)

أما عن تأثيرات التوجه الاجتماعي الايجابي فتتلخص في الآتي:

1) يتسم التوجه الاجتماعي الايجابي بأن له تأثير ايجابي قوى على الإنجاز الأكاديمي وتقبل جماعة الأقران أما العدوانية في مراحل النمو المبكرة ليس لها دلاله تأثير كبيرة على الوظائف النفسية، ويؤكد ذلك قيمة استثمار المصادر النفسية * لكي تستخدم في إنماء وتطوير النزوع الاجتماعي الايجابي لدى الأطفال.

2) تدعيم المصادر النفسية يعزز جو التعلم ويسهل النجاح الأكاديمي ويوفر الدعم الاجتماعي لشبكات الاتصال الاجتماعي.

3) يساهم التوجه الاجتماعي الإيجابي في زيادة المعايير الجماعية الايجابية Positive Commune Norms لتأسيس نمذجة

---

* يقصد بالمصادر النفسية: الحب - الثقة - الألفة - التقبل - الرضا

وتدريبات اجتماعية مما قد يؤدى لتقليل العدوان الاجتماعي. (٢٨)

خامسا: مفردات التوجه الاجتماعي الايجابي:

يتضح التوجه الاجتماعي الايجابي في التنظير النفسي من خلال عدة مفردات هي:

١) **الإحساس المعرفي الأخلاقي Moral agency:**

" يشير كوتشنيسكا وآخرون Kochanska et al" إلى أن نظريات علم النفس تهمل الجانب الايجابي للوظائف الأخلاقية فمفاهيم الإحساس المعرفي الأخلاقي تركز بشدة على الترفع عن التصرف الضار بالتدريب على معاقبة الذات Self-sanctions فمثلا غالبا ما يدرس التحكم الأخلاقي لدى الأطفال بملاحظة قوة ترفعهم من خلال التجاوز لإغراء مرتفع. (٢٩)

أما لدى البالغين فغالبا ما تتم دراسة التحكم الأخلاقي من خلال قدرتهم على الترفع عن إيذاء الآخرين خاصة في ضوء التهيج أو المطالب الموقفية، وفي هذا السياق نجد دراسة مليجرام Milgram الكلاسيكية على المطيع العدواني Obedient Aggression، وقد أوضحت هذه الدراسة بشكل كبير جانب الترفع الأخلاقي، فقد أوضحت هذه الدراسة كيف أن الناس (تحت مطالب التسلطية القاسية وفي ظل رؤيتهم الواضحة لما قد يسببوه من معاناة للناس) لا يستطيعون التصرف بتأديبية تجاه البشر(٣٠)، فقوة الإنسانية في مجابهة المعاملة القاسية معتبرة ومهمة، وإثبات أو التأكيد على صفة الإنسانية العامة يمكن أن يظهر أفضل ما في الناس، ففي تجربة " ميلجرام: وجد أن ٦٥% فقط من العينة التي اختارها قد وصلت في عقاب المتعلمين بالكهرباء إلى الدرجات القوية أو الخطيرة من الكهرباء ورفض كثيرون

الدخول في التجربة، و رفض ٣٥ % من العينة الوصول بالصدمات الكهربية إلى الحد الذي يؤلم المتعلم، وقد أشار "ميلجرام" إلي أن الأفراد الذين أطاعوا المُجرب في كهربة المتعلم قد أطاعوا بسبب رؤيتهم للسياق الذي تمت فيه التجربة وهذا السياق في التجربة كان معمل جامعة ييل وهى من الجامعات العريقة التي غالبا ما يشعر الطلاب فيها بأن الأوامر بالإثابة والعقاب تقتضى الطاعة. (٣١)

ويشير "باندورا" إلى أن الجانب الايجابي في الإحساس المعرفي الإنساني يتمركز حول القوة الإيجابية للتصرف بإنسانية بدلا من فقط قوة الترفع عن التصرف بعدم الإنسانية. (٣٢)

فمذبحة (ماى لى My lai) تبين النزوع الثاني للإحساس المعرفي الأخلاقي، فهناك فرقة أمريكية في حرب فيتنام قادها " كالى Calley" ذبحت كثيرا من الفيتناميين من النساء

والأطفال وكبار السن، والملاحظ هنا أن معاقبة الذات لم تقيد القيادة الوحشية وذبح الناس وقتلهم. (٣٣)

وفى نفس السياق بمناسبة مرور ٣٠ عام في ذكرى المحاربين القدامى في حرب فيتنام وذلك لتكريم البطولات غير العادية للسلوك الاجتماعي الإيجابي الأخلاقي (٣٤)، كرمت جمعية المحاربين القدماء طيار شاب يُدعى "طومسون"، فقد كان هذا الطيار مكلفا بمهمة الانقضاض على قرية (ماى لى) ولكنه حينما رأى المذبحة التي أحدثها بنى وطنه في أهل القرية العزل من السلاح، يروى الطيار ما يدل على إحساسه الإنساني العام: "هؤلاء الناس كانوا يتطلعون إلى مساعدتي ولم يكن هناك طريقا للتحول عنهم" واتصل الطيار بقائده أن المدنيين بحاجة للمساعدة فقال له " إن المساعدة التي سيحصلون عليها تتمثل في قنبلة يدوية"، إلا أن " طومسون" أخبر المدفعي على سطح

الطائرة أنه سينقل المدنيين من خلال جسر جوى تيسره إحدى السفن وأن عليه أن يصوب على أي جندي أمريكي يحاول إصابة المدنيين، وقد وصف "طومسون" رابطته التفهمية الإنسانية العامة حينما أنقذ طفلا عمره عامين كان ملتصقا بأمه " لدى ابن في نفس عمره تقريبا في المنزل"(٣٥)

وهنا يتضح من الأمثلة السابقة أن هناك جانب ايجابي للإحساس المعرفي الأخلاقي وأن هذا الجانب يتغلب به الشخص على مطالب الموقف (٣٦)، وفى ظل العولمة وبروز حق التدخل في شئون الدول من جانب القطب الأوحد والمتمثل في الولايات المتحدة، لم يتضح هذا الجانب في غزو أفغانستان أو في غزو العراق، لقد تكلم معظم المسئولون عن الحرب وأقروا بأن العراق لم يمتلك أسلحة دمار شامل ولم يسفر غزو أفغانستان عن اعتقال أفراد

تنظيم القاعدة، بل إن سياسات الهيمنة في عصر العولمة تخلو من ايجابية الإحساس المعرفي الأخلاقي وحتى الأخلاقية الوحيدة التي أضفيت على غزو العراق تمثلت في تسمية الحملة الأمريكية على العراق باسم (تحرير العراق) وكان ذلك بالطبع نوعا من البرمجة العصبية للمواطن الأمريكي بحيث يرى الغزو مساويا للتحرير، بل إن التأمل في مثال حرب فيتنام السابق وكيف أن أفراد قاموا بمذابح وآخرين قاموا بمعاملة المدنيين بإنسانية لتساءلنا عن أخلاقية الذهاب إلى فيتنام في الأصل، إلا أن فائدة الإحساس المعرفي الأخلاقي الايجابي في عصر العولمة تتضح حينما يبرز الخوف من العولمة باعتبارها نوعا من الداروينية الاجتماعية، فمحاولة إحياء الإحساس المعرفي الأخلاقي تؤدى إلى التخفيف من غلواء هذه الداروينية مما قد يؤدى إلى تهذيبها.

٢) التأكيد على الصحة:

غالبا ما اتجهت نظريات علم النفس إلى تصور الصحة من خلال المرض باعتبار أن السواء / المرض متصل واحد، فمثلا غالبا ما توجه اعتراضات إلى نظريات التحليل النفسي باعتبار أنها مؤسسة على ملاحظات تتخذ من الحالات المرضية نقطة البداية لها، وبرغم رد فرويد على ذلك من خلال بيانه أن الحالات غير السوية لا تختلف عن الحالات السوية إلا في الدرجة إلا انه ما زال يكمن الخطر الحقيقي عند القيام بممارسة العلاج النفسي باعتبار أن القائم بالعلاج النفسي قد لا يحترس من تطبيق المعطيات غير الطبيعية علي أشخاص طبيعيين.(٣٧)

وإذا كانت تصورات علم النفس للصحة من منطلق المرض فإن ذلك على حد تعبير "باندورا" يخبرنا نصف القصة، فلسنوات كانت تصوراتنا للصحة قد أقحمت في

نموذج مرضى طبي بيولوجى biomedical disease model بدلا من نموذج صحي Health model، وعلى ذلك فالنموذج المرضى الطبي كان يؤكد المداخل العلاجية والوقائية بدلا من تقوية وتعزيز الصحة، ووجه الانتقادات لهذا النموذج أنه سيكون مفيد وذو معنى أن نتكلم عن مستويات الحيوية والصحة مثلما نتحدث عن الوهن والضعف. (٣٨)

وفى سياق الحديث عن نموذج الصحة يبرز الحديث عن عادات نمط الحياة (٣٩)، فزيادة متوسط العمر يصاحبه قصور في الوظائف ولكي يتطور هذا القصور إلى أمراض مزمنة يأخذ ذلك كثيرا من الوقت وفى هذا السياق تتصرف الجهود المجتمعية للسيطرة على المرض من خلال تقنين وزيادة الخدمات الطبية ، ولكن الجهود المجتمعية تقوم بالقليل في مطلب الخدمات الصحية لجعل الناس قادرين على البقاء أصحاء من خلال إدارة الذات صحيا، أي من

خلال التدريب على العادات الصحية، وغالبا ما تلعب النظرية المعرفية الاجتماعية دورا هاما في هذا المطلب، حيث تركز هذه النظرية على فعالية تنظيم الذات التي تعين الأفراد على بناء عادات صحية وتقليل عوامل المخاطرة لأمراض متنوعة، فتصاعد الطلب على الرعاية الصحية سيجبر المجتمعات على إحداث التوازن بين جهود رعاية المرض إلى بناء الصحة وعاداتها. (٤٠)

٣) التحكم في الضغوط:

غالبا ما يتم إقحام الضغوط كمساهم رئيسي في اختلال الوظائف الجسمية، وغالبا ما يقترن الحديث عن الضغوط بالقدرة على التحكم فيها وتصور تأثيراتها، وإن **ظهور الضغوط من الممكن أن يثير عدة احتمالات:**

١ـ ظهور الضغوط مع فعالية الذات ليس له تأثيرات فسيولوجية ملحوظة.

٢- أما ظهور الضغوط بدون فعالية التحكم في الذات أو في ردود الفعل البيولوجية يؤدى إلى إضعاف الوظيفة المناعية.

٣- إن ظهور الضغوط النفسية مع وجود معتقد عدم القدرة على التحكم في الضغوط يمثل واقعا ضاغطا.

٤- غالبا ما يتم الوعي الكامل بالضغوط حينما نسعى لتنشيط كفاءتنا الذاتية لإدارة المتطلبات البيئية، وهذا يعنى وعى الشخص بالضغط النفسي ووعيه بضرورة المواجهة، وإن ظهور الضغوط في مواقف مكروهه مع عدم توقع وجودها وغياب التحكم في الذات في هذه الأوقات يضعف ولا يعزز الكفاءة الخاصة بالمناعة الذاتية والشائع في ضغوط الحياة اليومية أنها لو أضعفت الوظيفة المناعية ربما نصبح طريحي الفراش معظم

الوقت أو مؤهلين لذلك، لذا فنمو قدرات المواجهة يعزز كفاءة المناعة الذاتية. (٤١)

وطبقا لما سبق فالضغوط تثار حينما " يكون علينا أن نقوم بمواجهة فعالة للتحكم في التهديدات التي قد تضر بجهاز المناعة" (٤٢)

وغالبا ما يستطيع الشخص التخلص من الضغوط من خلال مشاعر السعادة التي يحاول البحث عنها في محيطه أو سياقه الحياتي، وأهمية هذه المشاعر تتضح من أنها تزيد من قوة الأجسام المضادة بينما في الأيام غير السعيدة نجد أن الأجسام المضادة تقل بدرجة كبيرة.(٤٣)

وفي نفس السياق يشير " دينستبر Dienstbier" إلى أن المواجهة الناجحة مع المواقف الشاقة يقوى الإنسان فعليا ويزيد من النشاط والفعالية الجسمية (٤٤)، إلا أنه تجدر بنا

الإشارة إلى أنه في عصر العولمة الحالي يمكن أن نجد احتمالين بالنسبة للضغوط ومواجهتها:

أ] أن تزيد الضغوط النفسية بشكل كبير " وخاصة في ضوء النظر للعولمة كنوع من الداروينية الاجتماعية" بحيث يصعب حصر كمها أو نوعها وخاصة لدى المستويات المحرومة التي ستعمل العولمة على إفقارها واستلاب ما تملك.

ب] أن تقل الضغوط النفسية باعتبار أن العولمة في إطار تغيير العالم إلى قرية كونية متشابكة من المتوقع أن تزيد فعالية الذات لدى الأفراد من خلال نمذجة النجاح الموجود في الدول القوية وبالتالي تزيد القدرة على مواجهة الضغوط.

٤) التفاؤل بين الصحة والمرض:

في الغالب تتسم الحياة الإنسانية والوقائع اليومية بأنها مبذورة بالصعوبات والاحباطات والعراقيل والفشل والنكسات والجور والمآسي وخاصة في ظل العولمة (وتأثيرها على العالم النامي) ويؤثر ذلك بشكل كبير على العافية الإنسانية Well-being ومؤهلاتها فهي غالبا تتطلب إحساسا بالفعالية المرنة والمتفائلة، فإن الواقع الجديد الذي تفرضه العولمة أصبح واقعا يصدر الألم والمشكلات عبر القرية الكونية مما يعنى أن مساحات من الأسى الوجداني قد تغطى مساحات المحرومين والفقراء داخل القرية الكونية، "وإن اعتقاد صعوبة السعي في أي عصر وخاصة في عصر العولمة يربط بين واقع احتمالات حياتية قاسية من ناحية و التفاؤلية من ناحية أخرى وهى تعنى أن الشخص يستطيع هزيمة هذه الظروف القاسية من خلال الإنماء

الذاتي وبذل الجهد وهذا يعنى وجود إحساس الفعالية المرن الذي يمد الأفراد بالحاجة للبقاء أقويا" (٤٥)

وإذا كان التفاؤل ضرورة حياتية فإنه في ظروف العولمة " وسيطرة القوى الكبرى على مقدرات العالم من خلال منطق القوة وما يصاحبه من تقدمها تكنولوجيا" يصبح أكثر إلحاحا، إلا أنه " في كثير من الأدبيات النفسية يُعامل تقييم الذات المتفائل Optimistic self-Appraisal على أنه خطأ معرفي يتطلب التصحيح Cognitive Failing requiring correction، بما يعنى أن الشخص ينتج تقييم ذات حذر ويؤدى ذلك ببساطة إلى معاقبة التفاؤل. (٤٦)

وخطورة معاقبة التفاؤل تكمن في أن العافية الشخصية مخدومة بشكل كبير بالتقييم الذاتي، والأفراد إزاء الصعوبات الحياتية المعاشة في عصر العولمة " والنابعة في الأصل من معاقبة التفاؤل سواء على المستوي الفردي

أو الجمعي خاصة في العالم النامي ، فتصور الذات جماعيا وفرديا لدي المجتمعات الفقيرة أو النامية يتسم بروح انهزامية إزاء الأقوى والأغنى" أمام احتمالين:

أن يستثمروا جهودهم ومصادرهم الشخصية في مغامرة من الصعب أن ينجروا فيها، وهذه الظروف تمثل مغامرة لأن الأشخاص يسلكون بعيدا عن التفاؤل الذي يغرس الأمل والثقة، وإذا كان التفاؤل يُعاقب باعتبار أن تقييم الذات المتفائل يتوجس منه بعض علماء النفس لأنه قد يكون دالة على ارتفاع النرجسية، فإن التفكير في طموحات مستقبلية لن يساوى إلا شدةُ المكابدة فعقاب التفاؤل يعنى عقاب الزمن الآني والمستقبلي.

٢- أن معاقبة التفاؤل يأتي كثمن لقتل الابتكار والمؤهلات الإنسانية التي تعين الأفراد على الأداء المطلوب في الظروف القاسية. (٤٧)

وفى سياق الحديث عن معاقبة التفاؤل " أو تقييم الذات المتفاؤل" يتضح أن التنظير النفسي يهتم بشكل كبير بدراسة مخاطرات فرط الثقة risks of over confidence ولكنه يتجاهل اضطراب تقييد الذات self-limiting (٤٨)، فعلى سبيل المثال حينما نسأل الناس عن الأشياء التي يندمون عليها سنجد غالبية الناس يندمون على الأفعال غير المقبولة وليس المقبولة، فهم يندمون على الفرص التعليمية المهدرة. والوظائف التي لم يسعوا إليها والتي كان من الممكن أن تجلب لهم الرضا والإحساس بالامتلاء الذاتي والمخاطرات التي لم يقوموا بها والعلاقات التي انخدعوا فيها، وهذه الأمثلة تؤكد على أن الناس يقيدون أنفسهم في أدائهم للأعمال ويضيعون الفرص المختلفة التي قد تحمل بعض المخاطرة ولكن نتائجها قد تحقق تغييرا جوهريا ايجابيا في حياتهم وتبعا لذلك فالتنظير النفسي الذي يعاقب التفاؤل

يتناول بالدراسة مخاطرات فرط الثقة ويهمل تقييد الأفراد لذواتهم مما يؤدى إلى اغتيال المصادر النفسية المتمثلة في الثقة والأمن والإنجاز. (٤٩)

الهوامش

1. Bandura, A. (2001). The changing face of psychology at the dawning of a globalization era. Canadian Psychology, 42, 12-24.
2. Bandura,2001,Ibid,p2
3. Bandura,2001, Ibid,4
4. Kiesler, S. (Ed). (1997). Culture of the Internet. Mahwah, NJ: Erlbaum
5. Bandura,2001, Ibid,4
6. Bandura, A. (1986). Social foundations of thought and action: A social cognitive theory. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.

٧. مات ريدلي (٢٠٠١) :الجينوم : السيرة الذاتية للنوع البشري ، ترجمة : مصطفى إبراهيم ، عالم المعرفة ، عدد ٢٧٥ ، الكويت ، صـ٩٤ .

8. Austin, J.H. (1978). Chase, chance, and creativity: The lucky art of novelty. New York:Columbia University Press.

9. Dobzhansky T. (1992). Genetics and the diversity of behavior. American Psychologist, 27, 523-530.

10. Bandura,2001,p : 4

١١.فـؤاد أبـو حطـب – آمـال صـادق (١٩٩٦) : منـاهج البحـث وطـرق التحليـل الإحصـائى فـى العلوم النفسية والتربوية والإجتماعيـة / ط ٢ ، مكتبـة الأنجلـو المصـرية ، القـاهرة ، ١١٨ : ١٢٢ .

12. R.kraut & Vicki landmark, m. patterson / Sara kies ler, Tridas, m. William, s (1998): Internet paradox: Asocial technology that Reduces social Involvenent and psychological well – being, American psychologist, vol. 53 , No 9 , 1017-1031

13. Bandura, 2001,Ibid,1
14. Bandura, 2001, Ibid, 10.
15. Werner, E. E., & Smith, R. S. (1992). Overcoming the odds: High risk children from birth to adulthood. Ithaca, NY: Cornell University Press.
16. Bandura, 2001, Ibid, 10.
17. Furstenberg, F. F., Eccles, J., Elder, G. H., Jr., Cook, T., & Sameroff, A. (1999). Adolescent development in urban communities: How families manage risk and opportunity. Chicago, IL:University of Chicago Press.
18. Bandura, 2001, Ibid, 10.
19. R.kraut & Vicki landmark, m. patterson / Sara kies ler, Tridas, m. William, s ,1998,Ibid,12.
20. Bandura, A. (1997). Self-efficacy: The exercise of control. New York: Freeman.
21. Piasecki, T. M., Kenford, S. L., Smith, S. S. Fiore, M. C., & Baker, T. B. (1997).

Listening to nicotine: Negative affect and the smoking withdrawal conundrum. Psychological Science, 8,184-189.

22. Love, S. Q., Ollendick, T. H., Johnson, C.,&Schlezinger, S. E. (1985). A preliminary report of the prediction of bulimic behavior: A social learning analysis. Bulletin of the Society of Psychologists in Addictive Behavior, 4, 93-101. وانظرSchneider, J. A., O'Leary, A., & Agras, W. S. (1987). The role of perceived self-efficacy in recovery from bulimia: A preliminary examination. Behaviour Research and Therapy, 25, 429-432.

23. Granfield, R., & Cloud, W. (1996). The elephant that no one sees: Natural recovery among middle-class addicts. Journal of Drug Issues, 26(1), 45-61.

24. Vaillant, G. E. (1995). The natural history of alcoholism revisited. Cambridge, Mass: Harvard University Press.

25. Granfield, R., & Cloud, W. ,1996,Ibid,7.

26. Perri, M. G. (1985). Self-change strategies for the control of smoking, obesity, and problem drinking. In T. A. Wills & S. Shiffman (Eds.), Coping and substance use (pp. 295-317). New York: Academic Press.

27. Bandura, A. (1999). Moral disengagement in the perpetration of inhumanities. Personality and Social Psychology Review. [Special Issue on Evil and Violence], 3, 193-209.

28. Bandura, 2001,Ibid, 12.

29. Kochanska, G., Murray, K., Jacques, R. Y., Koenig, A. L., & Vandegeest, K. (1996). Inhibitory control in young children and its role in emerging

internalization. Child Development, 67, 490-507.

30. Bandura, A., Underwood, B., & Fromson, M. E. (1975). Disinhibition of aggression through diffusion of responsibility and dehumanization of victims .Journal of Research in Personality,9, 253-269.
31. Lefton (1982): psychology, 2nd Edition, Allyn and Bacon Inc, 466: 468.
32. Milgram, S. (1974). Obedience to authority: An experimental view. New York: Harper & Row.
33. Kelman, H. C., & Hamilton, V. L. (1989). Crimes of obedience: Toward a social psychology of authority and responsibility. New Haven, CT: Yale University Press.

34. Zganjar, L. (1998, March 5). Forgotten hero of Mai Lai to be honored after 30 years. San Francisco Chronicle, p. A9.

35. bandura, 2001,Ibid, 13

36. Oliner, S. P., & Oliner, P. M. (1988). The altruistic personality. New York: Free Press.وانظرOzer, E. M. (1995). The impact of childcare responsibility and self-efficacy on the psychological health of working mothers. Psychology of Women Quarterly, 19, 315-336.

٣٧. أوسبورن (١٩٨٠): الماركسية والتحليل النفسي ترجمة: سعاد الشرقاوى، مراجعة مصطفى زيور، دار المعارف، القاهرة، ص ٥١"

38. bandura, 2001,Ibid, 14.

39. Bandura, A. (1997). Self-efficacy: The exercise of control. New York: Freeman وانظر Fuchs, V. (1974). Who shall live?

Health, economics, and social choice. New York: Basic Books.

40. Bandura, A. ,1997,Ibid,25.انظر ، Holman, H., & Lorig, K. (1992). Perceived self-efficacy in self-management of chronic disease.In R. Schwarzer (Ed.), Self-Efficacy: Thought Control Of Action (pp. ,305-323). Hemisphere, Washington, DC.

41. bandura, 2001, Ibid,14.

42. Wiedenfeld, S. A., O'Leary, A., Bandura, A., Brown, S ., Levine, S., & Raska, K. (1990). Impact of perceived self-efficacy in coping with stressors on components of the immune system. Journal of Personality and Social Psychology 59:1082-1094.

43. Stone, A. A., Neale, J. M., Cox, D. S., Napoli, A., Valdimarsdottir, H., & Kennedy-Moore, E.(1994). Daily events are

associated with s secretory immune response to an oral antigen in men. Health Psychology, 13, 440-446.

44. Dienstbier, R. A. (1989). Arousal and physiological toughness: Implications for mental and physical health. Psychological Review, 96, 84-100.

45. Bandura, 2001,Ibid, 15 .

46. Oettingen, G. (1995). Cross-cultural perspectives on self- efficacy. In A. Bandura (Ed.), Self-efficacy in changing societies (pp. 149-176). New York: Cambridge University Press.

47. Bandura, 2001,Ibid 15 .

48. Hattiangadi, N., Medvec, V. H., & Gilovich, T. (1995). Failing to act: Regrets of Terman's geniuses. International Journal of Aging and Human Development, 40, 175-185.

49. Bandura, 2001,Ibid, 17 .

- أحمد أنور (٢٠٠٤) :أخلاقيات العولمة : دراسة في آليات التشيؤ وسلعنة الإنسان، مركز المحروسة،، القاهرة،ص:٧.
- أوسبورن (١٩٨٠): الماركسية والتحليل النفسي ترجمة: سعاد الشرقاوى، مراجعة مصطفى زيور، دار المعارف، القاهرة، ص ٥١"
- أنطوني كبنج (٢٠٠١) الثقافة والعولمة والنظام العالمي، ترجمة شهرت العالم/ هالة فؤاد/ محمد يحيى، مراجعة محمد يحيى، ٢٨٧، المشروع القومي **للترجمة**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص ٢٩"
- ألفين توفلر (١٩٩٥): تحول السلطة، ج ١، ترجمة لبنى الريدى، الهيئة العامة للكتاب، ص ١ ـ ١١."

- إسماعيل صبري عبدالله (١٩٩٨): الكوكبة أساس الظاهر كالاقتصادي الاجتماعي، النهج، ربيع ١٩٩٨، السنة ١٤، العدد ٥٠، ص ٧"
- إريك فروم (١٩٨٩) الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران ، مراجعة لطفي فطيم ، عالم المعرفة (١٤٠) – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، ص :١٩- ٢١ .
- السيد يسين (١٩٩٧): في مفهوم العولمة " (في) " العرب والعولمة" بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الدراسات الوحدة العربية مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٢٣.
- السيد يسين (١٩٩٩): العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر والمعلومات - القاهرة، ١٥: ١٦ "
- جيمس مولين(٢٠٠١) : أساليب متغيرة في تمويل البحوث "١٩٦٠-٢٠٠٠" ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، العدد:١٦٨ ، ص:١٠٦ ، اليونسكو.

- ديفيد هوكس (٢٠٠٠) ": الأيديولوجية، ترجمة إبراهيم فتحي، المشروع القومي للترجمة، ١٥٩، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٤٥: ٤٧
- روهان سارمارا جيفا (٢٠٠١): التفرقة في الخصوصية، رسالة اليونسكو، مارس ٢٠٠١، ص ١٧
- زكي الميلاد (١٩٩٨): الفكر الإسلامي وقضايا العولمة، مجلة الكلمة، عدد (٢٠)، السنة الخامسة.
- سعيد المصري (١٩٨٥) " عرض كتاب ما الأيديولوجيا لياكوب بناريون، في الأدب والأيديولوجيا ــ الجزء الأول، فصول - المجلد الخامس العدد الثالث - إبريل / مايو / يونيو، ١٦٥ - ١٦٦)
- عبدالمنعم الحفنى ١٩٩٠ " المعجم الفلسفى، الدار الشرقية، القاهرة، ٣٣٦

- عبدالسلام المسدي (١٩٩٩): (العولمة والعولمة المضادة، من كتاب سطور -٦-، القاهرة ص ١٠٧
- فالح عبدالجبار (١٩٩٩) : معنى العولمة ، النهج ، شتاء ١٩٩٩ ، ١٧ ، ص ١٠٣ "
- فؤاد أبو حطب – آمال صادق (١٩٩٦) : مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائى فى العلوم النفسية والتربوية والإجتماعية / ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١١٨ : ١٢٢
- مات ريدلى (٢٠٠١) :الجينوم : السيرة الذاتية للنوع البشرى ، ترجمة : مصطفى إبراهيم ، عالم المعرفة ، عدد ٢٧٥ ، الكويت ، صـ٩٤ .
- محمد عابد الجابري (١٩٩٧): قضايا في الفكر المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص ١٤٤: ١٤٥ "
- محمد إبراهيم مبروك (١٩٩٩): الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة، ص ١٠١"

- Astin, H. S. (1984). The meaning of work in women's lives: A sociopsychological model of career choice and work behavior. The Counseling Psychologist, 12, 117-126.
- Austin, J.H. (1978). Chase, chance, and creativity: The lucky art of novelty. New York: Columbia University Press.
- Bandura, A. (1982). The psychology of chance encounters and life paths. American Psychologist, 37, 747-755.
- Bandura, A. (1986). Social foundations of thought and action: A social cognitive theory. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.
- Bandura, A. (1997). Self-efficacy: The exercise of control. New York: Freeman
- Bandura, A. (1998). Exploration of fortuitous determinants of life paths. Psychological Inquiry, 9, 95-99.

- Bandura, A. (1999a). A social cognitive theory of personality. In L. Pervin & O. John (Eds.),Handbook of personality (2 nd ed., pp. 154-196). New York: Guilford Publications.
- Bandura, A. (1999b). Moral disengagement in the perpetration of inhumanities. Personality and Social Psychology Review. [Special Issue on Evil and Violence], 3, 193-209.
- Bandura, A. (2001). The changing face of psychology at the dawning of a globalization era.Canadian Psychology, 42, 12-24.
- Bandura, A., Underwood, B., & Fromson, M. E. (1975). Disinhibition of aggression through diffusion of responsibility and dehumanization of victims. Journal of Research in Personality,9, 253-269..
- Diamond, M. C. (1988). Enriching Heredity. New York: The Free Press.
- Dienstbier, R. , A. (1989). Arousal and physiological toughness: Implications for

mental and physical health. Psychological Review, 96, 84-100.

- Dobzhansky T. (1992). Genetics and the diversity of behavior. American Psychologist, 27, 523-530.
- Debowski, S., Wood, R. E., & Bandura, A. (200). Impact of guided mastery and enactive exploration on self-regulatory mechanism and knowledge construction through electronic inquiry. Submitted for publication.
- Froomkin, A. M. (1999). Legal issues in anonymity and pseudonymity. The Information Society,15, 113-127.
- Furstenberg, F. F., Eccles, J., Elder, G. H., Jr., Cook, T., & Sameroff, A. (1999). Adolescent development in urban communities: How families manage risk and opportunity. Chicago, IL:University of Chicago Press.
- Granfield, R., & Cloud, W. (1996). The elephant that no one sees: Natural recovery

among middle-class addicts. Journal of Drug Issues, 26(1), 45-61.

- Hattiangadi, N., Medvec, V. H., & Gilovich, T. (1995). Failing to act: Regrets of Terman's geniuses. International Journal of Aging and Human Development, 40, 175-185.
- Holman, H., & Lorig, K. (1992). Perceived self-efficacy in self-management of chronic disease.In R. Schwarzer (Ed.), Self-Efficacy: Thought Control Of Action (pp. 305-323). Hemisphere,Washington, DC.
- Kiesler, S. (Ed). (1997). Culture of the Internet. Mahwah, NJ: Erlbaum.
- Kelman, H. C., & Hamilton, V. L. (1989). Crimes of obedience: Toward a social psychology ofauthority and responsibility. New Haven, CT: Yale University Press.
- Kochanska, G., Murray, K., Jacques, R. Y., Koenig, A. L., & Vandegeest, K. (1996). Inhibitory control in young children and its

role in emerging internalization. Child Development, 67,490-507.

- Kolb, B., & Whishaw, I. Q. (1998). Brain plasticity and behavior. Annual Review of Psychology, 49, 43-64.
- Krantz, D. L. (1998). Taming change: Social science and everyday narratives. Psychological Inquiry, 9, 87-94.
- Love, S. Q., Ollendick, T. H., Johnson, C., & Schlezinger, S. E. (1985). A preliminary report of the prediction of bulimic behavior: A social learning analysis. Bulletin of the Society of Psychologists in Addictive Behavior, 4, 93-101.
- Matsui, T., & Onglatco, M. L. (1992). Career self-efficacy of the relation between occupational stress and strain. Journal of Vocational Behavior, 41, 79-88.

- Milgram, S. (1974). Obedience to authority: An experimental view. New York: Harper & Row.
- Newhagen, J. E. (1994a). Self-efficacy and call-in political television show use. Communication Research, 21, 366- 379.
- Newhagen, J. E. (1994b). Media use and political efficacy: The suburbanization of race and class. Journal of the American Society for Information Science, 45, 386-394.
- Oettingen, G. (1995). Cross-cultural perspectives on self- efficacy. In A. Bandura (Ed.), Self- efficacy in changing societies (pp. 149-176). New York: Cambridge University Press.
- Oliner, S. P., & Oliner, P. M. (1988). The altruistic personality. New York: Free Press.
- Ozer, E. M. (1995). The impact of childcare responsibility and self-efficacy on the

psychological health of working mothers. Psychology of Women Quarterly, 19, 315-336.

- Perri, M. G. (1985). Self-change strategies for the control of smoking, obesity, and problem drinking. In T. A. Wills & S. Shiffman (Eds.), Coping and substance use (pp. 295-317). New York: Academic Press.
- Piasecki, T. M., Kenford, S. L., Smith, S. S. Fiore, M. C., & Baker, T. B. (1997). Listening tonicotine: Negative affect and the smoking withdrawal conundrum. Psychological Science, 8,184-189.
- R.kraut & Vicki landmark, m. patterson / Sara kiesler, Tridas, m. William, s (1998): Internet paradox: Asocial technology that Reduces social Involvenent and psychological well – being, American psychologist, vol. 53 , No. 9 , 1017-1031

Rosen, J. (2000). The unwanted gaze: The destruction of privacy in America. New York:Random House.

- Ryan & Connell (1989): perceived locus of causality and Internalization: Examining reasons for acting in two do mains. Journal of personality and social psychology, 57,749-761".
- Stone, A. A., Neale, J. M., Cox, D. S., Napoli, A., Valdimarsdottir, H., & Kennedy-Moore, E.(1994). Daily events are associated with s secretory immune response to an oral antigen in men. Health Psychology, 13, 440-446.
- Vaillant, G. E. (1995). The natural history of alcoholism revisited. Cambridge, Mass: Harvard University Press.
- Wiedenfeld, S. A., O'Leary, A., Bandura, A., Brown, S ., Levine, S., & Raska, K. (1990). Impact of perceived self-efficacy in coping with stressors on components of the immune

system. Journal of Personality and Social Psychology 59:1082-1094.

- Werner, E. E., & Smith, R. S. (1992). Overcoming the odds: High risk children from birth to adulthood. Ithaca, NY: Cornell University Press.
- Zganjar, L. (1998, March 5). Forgotten hero of Mai Lai to be honored after 30 years. San Francisco Chronicle, p. A9.

الفهرس